"يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم."
الأنفال، آية24

حلول لأزمات وسنن منسية

بقلم فيصل صالح برهان
تحرير الدكتور علاء الدين زعتري
تدقيق الدكتور إبراهيم مطر
مع مقدمة الدكتور روبرت كرين،
مستشار الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون

طبعت النسخة الأولى عام 1992
طبعت النسخة الثانية عام 1996
رقم الطبعة الثانية لدى المركز الثقافي للكونغرس الأمريكي: 96077871-
INSB 0-9653790-0-0, 0-9653790-9-4

ترجم الكتاب من الإنجليزية إلى العربية كل من
سمير محمد سمارة
أستاذ اللغة الإنكليزية في جامعة دمشق
و
محمد علي القادري
إجازة في الشريعة وإجازة في الأدب الإنكليزي
تاريخ الترجمة 1999

خطة الكتاب

دعوة للتغيير
إهداء وشكر
مقدمة هذه الطبعة
تمهيد
مقدمة لهذه الطبعة بقلم الدكتور إبراهيم مطر
مقدمة الطبعة الثانية- بقلم المرحوم الدكتور روبرت د. كرين

الجزء الأول: مشاكل ومسائل

الفصل الأول: بمقدورك الهروب وليس بمقدورك الاختباء
الفصل الثاني: مقدمة في مواجهة المشاكل
الفصل الثالث: النظر في بعض المشاكل
آ- التهديد المتواصل ضد الإسلام
ب- التعصب وعدم التسامح وضيق أفق التفكير
ت– توقع النجاح والازدهار بدون عمل وبذل الجهود المطلوبة لذلك
ث- الانقسام والتفرقة
ج- سوء استخدام ثروات المسلمين
ح- الاحتيال والخداع والتمييز
خ- النفاق مع فقدان الصدق والأمانة

الجزء الثاني: معالم في مكونات الحل

الفصل الأول: إيضاح في مقومات الحل: الكتاب التزكية الحكمة
الفصل الثاني: علم التزكية مطلب أساسي لنيل النجاح

الفصل الثالث: علم الحكمـة أنموذج للسنن الاجتماعية

الجزء الثالث: سنن منسية ومبادئ في هندسة الحلول

الفصل الاول: فيديو الميزان المفقود ونصه
الفصل الثاني: معرفة أين تكمن سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم
الفصل الثالث: سنة التثبت
الفصل الرابع: سنن في الحياة الاجتماعية والصالح العام الإسلامي
ا- تهييئ المسلم لمهمته في الحياة
ب- البناء على المشتركات وتغيير المرء من عدو الى صديق
ت- مرونة النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة منهاجه وعمله
ث- تحمل الهوان لتفادي الفواجع والفشل
ج- سنة المتطلبات الأساسية والرشد والنضوج
ح- سنة التدرج (الاتجاه المتدرج في التعليم والدعوة)
خ- سنة التوثيق والتعويل والاعتماد
د- سنة الاستقرار والثبات (الديمة)
ذ- أسلوبه (ص) في مخاطبة الناس
ر- سنة النوعية في مقابل الكمية
ز- سنة ضبط المواعيد والوفاء بالعهود والوعود
س- سنة التحقق من مصادر الخبر (التَبَيُّن)
ش- سنة الأولويات
ص- سنة الاهتمام والعناية بعلماء المسلمين ودعمهم

الفصل الخامس: سنة الإتقان
الفصل السادس: سنة التخطيط في الإسلام
ا- التخطيط في القرآن الكريم
ب- بعد النظر والتحقيق
ت- التخطيط في حياة النبي صلى اللـه عليه وسلم

الفصل السابع: اعتبارات روحية
آـ الصلاة في جوهرها
ب- موقع القلب في الاسلام
ت- موضع التقوى في الإسلام
ث- سنة القنوت (الإطاعة مع السكينة)

الجزء الرابع: مخطط تمهيدي للحلول

الفصل الأول: تَميُز وتفرد الحل وجديته
الفصل الثاني: تطبيق الحلول والتوصيات
الفصل الثالث: طرح فكرة الحل في هذا الكتاب في المؤتمر العالمي الأول للوحدة الإسلامية في عام 1996
الفصل الرابع: أنموذج للمنهاج الإسلامي المطروح في هذا الكتاب

دعوة للتغيير

إن الإســـلام يدعو ويشجع سلوك سبل النجاح والإنجازات المثمرة كما يدعـو بـحـرارة إلى الإخاء والإنسانية والتسامح. وليس من الفهم الإسلامي الصحيح التساهل – في أية حالـة أو شكل أو صيغة – في شــأن تردي حالة المسلمين وانحدار القيم الإسـلاميـة لديهم.

الإسلام في جـوهره عالـم قيم في أطَـرِه الروحـيّة والأخـلاقيّـة والسياسية والاقتصادية والاجتماعيـة، والتي تعمل مع بعضها البعض لأجل الصالح العام للمسلمين والبشـريّة.

ومع الأسف لا يزال المسلمون - ولمئات من السِنين خـلـت - ينتحون وجهة تـردٍّ وانحدار، بل تعمقت إلى تدمير في أيامنا هذه. ويتجسد هذا الواقـع على نحو جلـــيّ في كل دولٍ الشرق الأوسط، العراق، وسورية، واليمن وليبيا، إضافـة إلى عـدد من الشـعوب الإســلاميّة الأخرى.

إنّ علينا أن نضع في اعتبارنا وعلى نحو حاسم طرقا لتَغَيير هذا الواقع بمـا يخصّ الفـهم والممارسة للعديد من المفاهيم الإسلامية وذلك بهدفٍ تحويل هذا الاتجاه المتردي والبدء في سلوك درب الإسلام الصحيح المفصل في هذا الكتاب للوصول إلى النجاح والرخاء. يقول الله تعالى:

"إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ." الرعد ١١

رجائي من القارئ أن يستوعب هذا النداء الإلهي في التغيير وأن يتخذ المفاهيم القيّمة لهذا الكتاب وأن يدخل رســـالة الإصلاح الى أعماق قلبه وجوارحه. وأن يـوجّه أسرته وأصدقاءه للقيام بهذه الخـطـى في التغيير، والتي طال أمد انتظارها. ورجائي ان تترجم رسالة هذا الكتاب إلى أعمال نابعة عن علم وقلب سليـم وبحث متأنٍّ لفتح السبل لآفاق إسلاميّة جديدة.

اللهم اشرح صدورنا ونور عقولنا وقلوبنا لتقبل رســالة هذا الكتاب إنك أنت السميع العليم.

قال الله تعالى:

((يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم.)) الأنفال 24/5

اهداء وشكر

أقدم هذا الكتاب اولاً لله تعالى. ونسأله تعالى أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، سبحانه القدوس الحكيم. ونصلي ونسلم على حبيبنا محمد عبده ورسوله، الذي أرسله رحمة ومفتاحا للهدى للعالمين. ونصلي ونسلم على أبي الأنبياء الخليل إبراهيم وعلى أخويه موسى وعيسى وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

أسال المولى الكريم أن يتقبل هذا الكتاب كصدقة جارية لروح والدي صالح وامي خانم برهان رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح جناته.

وهنا أود أن أعبّر عن شكري وامتناني واحترامي لمعلمي سماحة المفتي العام السابق لسورية، المرحوم الشيخ أحمد كفتارو والذي تـنعكس تعاليمه وأفكاره في هذا الكتاب.

كما أودَّ أن أعبـر عن شـكري وتقديـري لـكلٍ من الدكتـــــور- أحمد حسين صقر، والدكتـور مزمّل صدّيقي، والدكتور ماهر حتحوت، لما قدموه من نقد وملاحظات.

وللسيد ولـيد فـروخ أيضاً لإسهاماته العديدة وخاصة في مجال تاريخ لبنــان الحديـث.

وأتقدم كذلك بشكري لكل الذين شاركوا وأسهموا في إنجاز هذا الكتاب سواءً أكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة.

وأخيراً أقدم شكري وحبي العميق لـزوجتي سنــاء ولبنـــاتي ليلي وأمل وفجـر وجنـان، وذلك لما قدمنه من عزم وصبر ودعم.

فيصل صالح برهان

مقدمة هذه الطبعة

هذه الطبعة، مصاغة ل (PDF) ب دي ف وتضيف إلى الطبعتين الأولى والثانية موضوعان تحت العناوين: **فيديو** الميزان المفقود ونصه (الجزء الثالث، الفصل الأول) ومعرفة أين تكمن سنة النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه (الجزء الثالث، الفصل الثاني).

تمت طباعة النسخة الأولى لهذا الكتاب عام 1992، بعنوان الحل للمعضلة الإسلامية. كما تمت طباعة النسخة الثانية عام 1996 تحت نفس العنوان. أضيف إلى الطبعة الثانية، مبادرة لإنشاء منهج دراسي مبني على الكتاب والحكمة والتزكية- الهيكل الجديد للتربية والتعليم - التي طرحت في المؤتمر العالمي الأول للوحدة الإسلامية الذي عقد في 2 آب 1996 في فندق ويسترن بونفينشر في لوس انجلوس، كاليفورنيا.

تمت ترجمة الطبعة الثانية إلى اللغة العربية من الإنجليزية عام 1999.

تضم طبعة ال PDF هذه تصحيحاً للترجمة لإيضاح المعاني بشكل أفضل، وإضافة بعض الأفكار المتجددة في المواضيع المطروحة.

تمهيد

لقد تلقيت الثقافة والتربية الإسلاميّة لسبع سنوات في مجمع أبي النور في دمشق، سورية، إضافة لخمس وأربعين سنة من المشاركة الفعليّة في النشاط الإسلامي في المراكز والجاليات الإسلاميّة في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكيّة، مما أكسبني عمقاً جوهرياً في معرفة طبيعة مشكلاتنا واستشراف الحلول لها.

كان لعمق معرفتي بالأسس الإسلامية للنمو الأمثل والأصلح وعدم الإخفاق، ولطبيعة مهنتي في تصميم وفحص وتطوير الأجهزة الكهربائية الفضائية دور كبير لتبني موضوع هذا الكتاب ولطرح وإيجاد الحل الأمثل لمشاكلنا. إذ أثبت لنفسي مرة بعد الأخرى أن الإسلام بدقائقه والتقدم العلمي هما توأمان، متناسقان ومتآزران.

إن المشاكل التي نواجهها هنا[1] أدني بكثير من تلك التي نواجهها في أنحاء الأمة الإسلامية.
فحقيقة الأمر أن العالم الإسلامي، بلا أدنى شك، يغوص في خضم بحر هائل من الحيرة واليأس. إن معظم المسلمين، قيادات وافراداً، يتخذون قراراتهم الاقتصادية والسياسيّة في حالة من اليأس وعدم الحيلة.

إن حالة المسلمين المتردية سواء كانت محلياً أم عالمياً حالة مرعبة ومخيفة. إن حياة المسلمين ومعيشتهم أصبحتا في خطر. وعلاوة على ذلك فإن المسلمين حيثما يجتمعون فهم غالباً يتحدثون عن أحوالهم المتردية وظروفهم التي تتفطر لها الأفئدة، غير أنهم دائماً لا يطرقون الحلول لهذه المشاكل، ولا يناقشون ماذا يفعلون لمنع حدوث مآسٍ مماثلة في المستقبل. ليس ذلك فقط، بل احيانا بعضهم يعزو الإخفاق إلى الله الذي كتب ذلك عليهم وأنه ليس لهم حول ولا قوة.

من الطبيعي أن بعض المشاكل والأزمات التي يعاني منها المسلمون بسيطة في طبيعتها، بينما بعضها الآخر أكثر تعقيداً وصعوبة. وهذا الكتاب يتطرق إلى بعض من هذه المشاكل وحلولها، ولكن يناقش بعمق جذور كافة مشاكلنا.

وعليه فبعد قراءة هذا الكتاب ربما يحيط القارئ بطبيعة المشكلات البسيطة والمعقدة على السواء، وعلى العوامل المسببة للمشاكل. أيضا، سوف يدرك القارئ كيفية التصدي للمشاكل مع تدبر الحلول المناسبة لها. كما آمل أيضاً أن يكون هذا الكتاب شمعة لبدء ثورة من البحوث والاكتشافات لإيجاد الحلول اليانعة في ثمرها لإحياء الأمة من جديد.

تَميُز الحل المطروح في هذا الكتاب

يتضمن هذا الكتاب رسالة لإحياء الأمة برمتها. يعتبر الحل المطروح في هذا الكتاب حلاً شمولياً حيث يضم تحت أجنحته المعادلات والآليات لحل كل أنواع المشاكل والمعضلات. وان هذا الحل يمثل البناء الرباني الحكيم للامة والذي بتطبيقه، تلقائيا، تُفلِح معظم الاعمال، وتتضاءل وتموت معظم المشاكل والمعضلات. وهو معادلة إلهية مكونة من مبادئ تربوية وتعليمية ثلاثة: علوم الكتاب والتزكية والحكمة التي وضعها الله تعالى للإنسان كمنهج لبناء الحياة والتربية والتعليم.
وإنني أعزو غياب الحلول، أو على الأقل محاولات إيجادها إلى غياب معرفة الاسلام الحقيقية - عند الكثير- لدين مأله النجاح والتقدم. فالإسلام الصحيح، في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يتكون من ثلاثة عناصر متضافرة:

- علوم الكتاب (أي القرآن الكريم)

- علوم التزكية: وهي تطهير النفس البشرية.
- علوم الحكمة

هذه المكونات الثلاثة هي العناصر الأساسيّة الضرورية لتكوين المؤمن الحـق.
فالعنصر الأول – وهو الكتاب – يزود شخصية الإنسان بالمعرفة والعلوم الشرعية منها والحياتية.
أما العنصر الثاني – وهو التزكية – فهو لتطهير النفس البشرية من الداخل والخارج من الرذائل والموبقات ولإيجاد أناس تعتمر قلوبهم بالسكينة والتقوى وسبل التقرب إلى الله. وعنصر التزكية هذا يدفع الإنسان للقيام بأعمال مبنيّة على اعتبارات سلوكية وأخلاقيّة تلقائيا ومن أصلها.
أما العنصر الثالث – الحكمة – فوظيفته إيجاد أناس ناجحين في شؤون حياتهم القائمة على تطبيق المعرفة التي اكتسبوها من العنصرين الأول والثاني (الكتاب والتزكية).

لا شك أن اكتساب الطهارة في القلب مع المعـرفة في العقل واستخدام الحكمة في العمل يـؤدي – وبالتأكيد – إلى الفوز والنجاح. ولا يمكن أن يكون المسـلم كاملاً ومؤمناً حقاً، رجلاً كان أم امرأة، إذا فشل في تمثل عناصر الإسلام هذه المتكاملة، كما وردت في رسالة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أن هذا الكتاب يتطرق لمواضيع ذات شأن عظيم في حياة المسلم. من هذه المواضيع هي الطريقة الإدارية للنبي محمد (ص) والتي يجب على كل مسلم العمل بها كسنة واقتداء. كما ويتطرق هذا الكتاب إلى أمور أخرى قام بها النبي (ص) والتي تعتبر سننا ولكن تكاد تكون من المنسيات، كسنة التثبت وسنة الإتقان وسنة التخطيط، وهكذا. دعونا هذا الجزء من الكتاب سنن منسية ومبادئ في هندسة الحلول.
وحقا، لسوف يأخذ هذا الكتاب القارئ في رحلةٍ شيقة وجدية بحثاً عن جواب وحلول للمشاكل. ولسوف يتـم تحليل وتقييم كل خـطوة وإعطاؤها ما يناسبها من خلال الرؤيـة السـليمة.

وقد تم إلحاق قرار ينص على تجـديد (الثقافة والتعليم الإســلامي) على المستوى العالمي وهو مبني على أسـاس القواعـد الإســلاميّة المحضة المعروضة خلال هذا الكتــاب، وكذلك على أسـاس نهج التغيير الذي طبقه النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تم ذلك في الجزء الرابع، الفصل الرابع، وقد دون هذا القرار كملحق ب في الطبعة الثانية.

وقد صمم هذا الإصـلاح التعليمي ليقلب تيـار التـردي والانـحدار الـذي يعصف بالأمة الإسـلاميّة في كافة أنحاء العالم. وقد تم تبني القرار في مؤتمر الوحدة الإسلامي العالمي الأول الذي عقد في لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا في شهر آب عام 1996

مقدمة لهذه الطبعة بقلم الدكتور إبراهيم مطر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد معلم الناس الخير بما أوحي إليه من الله العزيز الحكيم الذي علمه ما لم يكن يعلم وجمع له علوم وحكمة من سبقه من الأنبياء والمرسلين لتكون رسالته خاتمة الرسالات ويكون هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد، فلقد سعدت بالإطلاع على هذا الكتاب لما وجدت فيه من حسن الإدارة والرشد في إنقاذ هذه الأمة من سباتها وحلول واقعية لفتح الطريق لها للخروج من مصابها.

في الجزء الأول من الكتاب، مشاكل ومسائل، يناقش السيد برهان هوية بعض المشاكل وماهيتها، ومن تلك المسائل والأمراض يستخلص السيد برهان المعالم والمعايير لتكوين الحلول والتي أوضحها في الجزء الثاني بفصوله الثلاثة من هذا الكتاب. أما الأجزاء الثالث والرابع، تحت العناوين: سنن منسية ومبادئ في هندسة الحلول ومخطط تمهيدي للحلول - ففيهما يحدد السيد برهان الخطوات الرئيسية لإنقاذ الأمة من غمتها نحو النور والتقدم. وإنني لأجد أن التفصيل للكتاب، بحد ذاته، هو تنفيذ لسنة رسول الله صلوات الله عليه في أن لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين.

من النقاط الواقعية التي يبرزها السيد برهان أن الإسلام الذي تعلمه من المرحوم الشيخ أحمد كفتارو وأن ما رأى من نظم وأساليب التقدم العلمي والتقني في أمريكا أنهما شيئان متلازمان وغير متضاربين.
وقد خصص السيد برهان الجزء الثالث بفصوله السبعة حول هذه الحقيقة. وفي هذه الفصول وجدت تبيانا للسنن الإلهية والنبوية المنسية من قبل المسلمين والتي ما هي إلا منحى ومنجى لهم بمعونة الله.

إنني أشارك السيد برهان أن ابتعاد المسلمين، وخاصة في العصور المتأخرة عن معاني وأهداف الإسلام الحق هو حقيقة بينة. هذه الحقيقة ترينا أن تدين المسلمين اليوم مقتصر على العبادات التي هي جزء من الدين، وليست كله. علما بأن معظم عباداتهم أصبحت طقوسا. فهي صلاة بلا خشوع وصيام مقتصر على الجوع والعطش وحج بالأبدان دون الأرواح. بعض المسلمين اكتفوا بمظاهر مادية وحركات وطقوس لا روح فيها ولا تفكر. أما الأمور التي تمثل روح الإسلام فأهملها، كالإحسان والإتقان والتثبت وحفظ العهود والوعود والتدرج في الأحكام ومراعاة الظروف وتقديم الأولويات والعناية بالكيف لا بالكم. ومن ناحية أخرى، لم يتجنبوا العداوات التي لا مبرر لها ونسوا ضرورة كسب مودة الناس وتحويل العدو إلى صديق، كما ذكر مؤلف الكتاب.

ولقد أضاف السيد برهان في هذه الطبعة من الكتاب، الفصل الثالث، موضوعا خطيراً (رابط لفيديو وكتابة للمحتوى) يبين فيه مدى الضرورة التي يحتاجها المسلم ليتمثل الموازين التي بينها الله تعالى في كتابه الحكيم والتي وضعها كأساس لبناء دينهم ودنياهم والذي سماه السيد برهان ب الميزان المفقود.

بعد قراءتي لهذا الكتاب تحققت أن الإسلام الذي رضيه الله تعالى لعباده هو جسد وروح ولا يعتمد على الصدفة والتواكل. بل هو عمل وجهاد، صبر وصمود، أخلاق عالية وتقدم وحضارة. هو أخوة إنسانية تسع القريب والبعيد، المسلم وغير المسلم. لا مكان فيه للتعصب والجمود والتقليد الأعمى والفرقة والقبلية.

وقد وجدت أن هذا الكتاب هو محاولة لرسم خطة الطريق للعودة إلى الحياة الطيبة كما عاشها المسلمون الأوائل عندما شاهدوا رسولهم الكريم عليه الصلاة والسلام واتبعوه في كل صغيرة وكبيرة حتى أعزهم الله ونصرهم. وإنني لأجد أن الأمم من حول المسلمين دخلوا في هذا الدين لأنه يعالج الأمور الحياتية منها والأخروية بنجاح.

وقد أكرمني الله تعالى بأن وجدت روح الإسلام وجماله إذ كنت مترجما للناطقين باللغة الانجليزية وتلميذا للمربي الشيخ أحمد كفتارو وصحبت سماحته للترجمة في كثير من لقاءاته مع شخصيات عالمية من أتباع السيد المسيح عليه السلام وغيرهم. ومن تلك الشخصيات العالمية المرحوم الدكتور روبرت كرين الذي اهتدى للإسلام بحمد الله وأحب أن يُسمى فاروق عبد الحق.

وختاما، لربما كان في هذا الكتاب نفع لكل إنسان سواء كان مسلما أو غير ذلك. فغير المسلم سيتعرف على حقيقة الإسلام وتتغير نظرته فتصبح بعكس ما هو عليه المسلمون حاليا. وأما المسلم فسوف ينتفع به ليعيد النظر في حقيقة دينه ومستوى إيمانه، ورجائي أن يعاود كل مسلم وقارئ لهذا الكتاب تطبيق ما فاته لبعض السنن الإلهية والنبوية المنسية والتي فيها سر النجاح والفلاح الذي يسعى إليه كل مؤمن حق، والله ولي التوفيق.

كتبه: الدكتور ابراهيم مطر
مجاز في اللغة الانجليزية
مجاز في اللغة العربية والدراسات الإسلامية
دكتوراه فخرية في الإدارة
ترجمان محلف (انجليزي-عربي)

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم المرحوم الدكتور روبرت د. كرين[2] رئيس مركز الأبحاث السياسية

بحلول الألفية الجديدة كان ميســـــوراً للمفكرين وسياسيي عـوام الشـعب أن يشاهدوا التلفاز ويدخلوا إلى شـبكة الإنترنت كي يصرحوا أن العالم برمته يرزح تحت وطأة أزمة (معضلة).

هذه الأزمة العالمية التي تنبثق مباشـرة من العبادة الواسعة الانتشار الآلهة المزيفة القائمة على القوّة والأُبّهة واللهو والثروة، والمنبثقة أيضاً من العبادة القائمة على الفكر لعقائد متنوعة وأبطال عقائديين، وهي التي تحل محل عبادة الله، كقيمة مطلقة وهدف في الحياة.

إن كل إنسان قد جبل على فطرة / غريزة / عبـــادة من هم أرقى منــه، فمنهم من يعبد الإله المطلق الذي خلق كل شيء وآخـــرون يعبدون إلهاً أو آلهة أخرى مزيفة حيث اختلقها الإنسان بأوهامه لعالم متناه.

وهذه الأزمة العالمّية تهدد بتدمير الجـنس البشري برمته، لأنـــه وعلى مدى التاريخ البشري كله، وقد عُرّفَت حقبتنا هذه – دون غيرها – على أنها أكثر الحقب تفشياً للوثنيين، وأصبح الحل واضحاً شـيئاً فشـيئاً لكافة الناس ما عدا العلمانيين.

وإن الحل الذي أصبح واضحاً شـيئاً فشـيئاً لكافة الناس العلمانيــين، فحيثما نقوم بإحياء الورع الروحي لإحياء القيم المقدســة بداخلنا وفي كل الخليقة، فعندها يمكننا التغلب على هـذه الأزمـة وبذلك يكون بإمكان القادة الروحيين وأصحاب الفـكر فقط أن يلتفوا حول بعضهم بعضاً لإيجاد قيادة بناءة في صبغة حركية تقوم على التمســـك بالأعراف والتقاليد بغيـــة إظهار القيم المضيئة في كل من الديانات العالمية.

تلك هي الطريقة الوحيدة في سـبيل تجسيد الحكمة وتثبيت الالتـزام اللذين يكمنان في جذور كافة الحضارات المثاليّة. وقد تم نبذ العلمانيين في كل من روسيا وأمريكا، وفعليّاً في كل أنحاء العـالم من قبل الناس الذين دعوهم في أول الأمر.

إن إفلاس العلمانـية، وكل ما لـه صـلة بالعبادة العلمانـــــية وكذلك في البحث العالمي للحريات الجديـدة التي ورثت عن ثورة المعلومات، كل هذه الأمور تلتقي لتوفر جميعاً، ربما أعظم الفـرص التي أتيحت للجنس البشري حتى الآن لتطوير مجتمع يقوم على أساس النموذج الإلهي.

وللمرة الأولى، ينضم الملتزمون من كافة الأديان لدراسة رســالة الوحي المشتركة لديهم ودور رسالتها المتواترة في التاريخ. وللمرة الأولى أيضاً يتمـكن المسلمون، بل ينبغي عليهم، المساعدة في قيادة حركة التمسك بالتقاليد والأعراف العالمّية. وإن أي نظرة أقل من تـلك القواعد تعد غير إسلامية، لأن الإسلام هو الديـن الأصلي للجنـس البشـــــري تنزّل من خالقنـــا ليكون حلاً لجميع مشاكلنا.

كما تعد أية جهود إســلامية لتنظيم الحكمــة الأصلية الثابتة للأجناس البشرية بمثابة حل للأزمة الكونية.

ويجب أن يبـدأ الإدراك الروحي في كل ديـن من الأديـان بتطور حركة التمسك بالأعراف والتقاليد ضمن مجتمعنا، وأن تكون مبنية على أساس رسالة الوحي والحكمة التي يمكن لهـا أن تحفَّز بل وتدفـع أتباعهـا نـحو النمو الأمثل.

وللمرّة الأولى أصبح الكتاب التمهيدي الموجز والذي يحمل عنوان أزمة المسلمين وسبل حلها[3] متوفراً في الأسواق الأمريكية للمسلمين، وفي مؤتمر لوس أنجلوس الأول للوحدة الإسلامية العالمية.

وفي هذا الكتاب وضع السيد فيصل برهان برنامجاً لإحياء العناصر الأساسية لرسالة الوحي الإسلامي مبنية على أساس حقبة البعثة النبوية للإسلام الحق.
وإنه على مدى ستين عاماً قاد واحد من ضيوف الشرف المؤتمر وهو الشيخ أحمد كفتارو هذه الدعوة، كما عمل سماحته وبدون كلل أو ملل في كل قارات البسيطة، ولأكثر من نصف قرن بالمساهمة في إزالة الأزمة العالميّة للجنس البشري، ويمكن أن يتحقق ذلك فقط بطرْق أزمات المسلمين الداخلية أولاً. وما لم نقم بذلك فإننا سنبقى جزءاً من المشكلة بدلاً من أن نكون مفتاحاً رئيسياً لحلها.

ويستخدم كتاب السيد برهان برّمته أسلوب النظرية البراغماتية للإدارة الحديثة في أسلوب إيجاد حل المشكلة.
فلا مغزى ولا طائل للحكمة في الأديان العالميّة ما لم تأخذ بأيدينا الى تجديد الطبيعة الأصلية لمشاكلنا على كل مستوى من مستويات المجتمع بحيث يمكننا تطبيق تلك الحكمة في سبيل الوصول إلى حلها.
ويجب على المسلمين التغلب على العقليّة المصابة بمرض الرّهاب /جنون العظمة/ لديهم والمبني على التهديد والذي يبدو بشكل واضح في رد فعلهم المستمر على الأزمات قصيرة المدى. والتي يقوم الوثنيون في الدول العظمى بفرضها عليهم.

وعلى سبيل المثال، ينبغي أن يكون الهدف الجوهري لمنظمات التفكير الإسلامي في أمريكا هو تغيير البيئة للسياحة المحلية في أمريكا بحيث يمكن أن تقوم على أساس العدالة، ويمكن تحقيق ذلك فقط عندما تبنى الأخلاق والتي يمكن استنباطها من الدين فقط الذي هو أساس السياسة كلها.

إن الهدف من مصادر التفكير الإسلامي هو تكوين الرؤية الإسلامية، ولعلَّ هذا قد تم على يديّ الآباء الأوائل الذين أوجدوا أمريكا. وطالما أن كل إنسان كائن روحي فإنه من الأفضل الحث على القيام بأعمال روحيّة لتقود الناس لهدفهم الأسمى ومسؤولياتهم في الحياة.

ويعد المفهوم المتطور جداً للغرض السامي ومسؤولياته كمصدر لكافة الحقوق، واحداً من إسهامات الإسلام الرئيسية للجنس البشري. وقد خدم وطوّر أحكام الشريعة الإسلامية بكاملها أفضل العقول في العالم على مدى قرون عدة ولتكوّن بشكل دقيق أنظمة للقيم الأخلاقية في نطاق هدف البراغماتية وتعريفاً للعدالة في تنظيم الشؤون الإنسانية.

ويركز السيد برهان من خلال كتابه على أنه علينا مسؤولية صياغة حياتنا على نهج حياة وسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأن رسالة خاتم الأنبياء قد نُقلت إلى الجنس البشري بواسطة إنسان مباشرة وليست بواسطة الملائكة. وهذا الإنسان واجه كل المشاكل التي يمكن لأي منا أن يواجهها، حيث أن الله سبحانه وتعالى هداه - في كل مجالات الحياة - لأن يبين لنا كيف ينبغي علينا أن نمضي في تحمل مسؤولياتنا.

وقد قام السيد برهان بإبراز الخطوة المبدئية في صوغ حياتنا على نهج النبي محمد عليه السلام في كتابه هذا وذلك في القسم الذي حمل عنوان- إعداد المرء لمهمة الحياة.

لقد علّمنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سنة تحديد المسؤولية أنها مبنية على أساس الكفاءة، والتي ينبغي علينا بموجبها قضاء سنوات من أعمارنا أو في واقع الأمر - كل أعمارنا - في إعداد أنفسنا لحمل عبء المسؤوليات الخاصة والتي أوجبها الله بحكمته المطلقة.

وينوه السيد برهان على أن مسلمي العالم اليوم يتعلمون بأن غسل أيديهم ووجوههم هي من السنة، ولكنهم لا يتعلمون بأن الأربع إلى خمس سنوات من زيارات النبي إلى غار حراء للتأمل والتفكير كانت لإعداده وتهيئته لاستقبال أو تلقي الوحي والرسالة.

فلقد قرب ميعاد تكفيل النبي رسالة النبوة الشريفة. ومن الضرورة لنبيّنا محمد أن يكون مهيئاً ومؤهلاً لتلقي وحي الله. وهذا يحصل عندما يكون النبي قريباً جداً من الله في روحه وقلبه وعقله. ومثل هذا القرب يستوجب كثيراً من التفكير والتأمل.
وهكذا كان غار حراء مدرسته في صفاء الروح، في التفكير والتأمل لتهيئة النبي لتلقي الوحي. أما بديلنا لغار حراء هو القيام بتأسيس تدريب منتظم لذكر الله والتأمل في خلقه والتقرب منه.
ومن خلال الذكر تنمو التقوى والتي هي نتيجة لحب المرء لله تعالى وسبب الإصلاح والابتعاد عن ضرر الغير، حيث أن التقوى فعل داخلي وسمة دائمة للعمل المثمر.

ويشرح السيد برهان بأن ذكر الله والتقوى هما من السنن الأساسية في تطبيق وتفعيل الإسلام لأن كلاً منهما يعتبر لبّ الإسلام والذي يعني استسلام المرء لله تعالى.
ويعنى كتاب السيد برهان بكامله على شرح المهمة الثلاثية في الكتاب والحكمة والتزكية والتي من خلالها يكون المرء مؤمنا. ويتألف ذلك،
أولاً: من التدريب الفكري على معرفة فهم القرآن الكريم والذي يدعوه الكتاب - علم الكتاب - بحيث نصبح ضليعين في معرفة أساسيات الشريعة الإسلاميّة وعقائدها وأحكامها وعلوم الحياة.
وثانياً: لتطهير أنفسنا من الداخل حيث يدعوها المؤلف علم التزكية، بحيث نحيا حياة متوازنة بسكينة وطمأنينة وتكون قلوبنا عامرةً بآلية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.
وثالثاً: التحلي بالحكمة لتصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصية المرء والتي يدعوها المؤلف علم الحكمة
المرحلة الأولى: للتطور الفكري هي الأخذ بما يدعوه السيد برهان بسنة التثبّت، والتي هي واحدة من السنن والسلوكيات التي قام بها نبينا محمد والتي تم شرحها في هذا الكتاب.
وهو يعرّف هذه السنّة – التثبت - على النحو التالي: ((إنها الاتجاه التحليلي في اتخاذ عمل أو منهج أو حل مشكلة.)) والتي يمكن أن تعد حلاً وأساساً ضرورياً للقيام بكافة الأعمال الإنسانية والجهود في الشريعة الإسلاميّة.

ويكمل هذه السنّة - سنة الإتقان في العمل - والتي تهدف إلى أن ينشد المرء أكثر النتائج كمالاً في أعماله وذلك بتنظيم وترتيب الأشياء على أساس علمي وفني. ويعد غياب هاتين السنتين سبباً رئيسياً لكافة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي تعصف بالمسلمين في أيامنا هذه.

ويعد غيابهما أيضاً سبباً جذرياً لإهمال المسلمين لعلمائهم وانتحاء التعصب ومعضلات أخرى.
ونرى فصولاً أخرى في كتاب السيد برهان تتحدث عن السنن في سلوكيات النبي وفي الحقيقة فإن أفضل عنوان لكتاب السيد برهان قد يكون ((الحكمة حل أزمات القرن الحادي والعشرين.))

وقد يكون أكثر الأجزاء نفعاً من كتاب السيد برهان آخر فصل الذي يوحي فيه بأن مجمل توجه الكتاب يمكن أن يستخدم كإطار لعمل منهاج إسلامي جديد يندرج على كافة مستويات التعليم الإسلامي.
يهدف هذا الكتاب الصغير للسيد برهان إلى تفعيل تعاليم سماحة المفتي أحمد كفتارو ومنهجه في التعليم.
فَدعوةٌ إلى الإسلام كهذه، سوف تعمل على إكمال الثورة الأمريكية والتي بدأها أناس أحناف، أو ما يدعوهم المسلمون أصحاب فطرة.

وكذلك كان رئيسنا الثـالث توماس جيفرسون والذي يعـد أول من أوجد الدستور الأمريكي. فقد كان ممثلاً حقيقياً للناس المتمسكين بالأعراف والتقاليد لكافة العقائد الدينية.

هذا وإن أفضل الأجداد الذين أسسوا أمريكا كانوا حنيفي العقيدة موحدين ولم تفقد رسالتهم قط في أمريكا. ولكن اليوم يجب العمل على إحيائها. فإن مثل هذا الإحياء يعد هدفاً أســاسياً وقدراً إلهيـــاً ومسـؤولية كافـة المسلمين في أمريكا.

(فاروق عبد الحق) دكتور: روبرت ديسكون كرين
رئيس مركز بحوث السياسة العامة، سنتافي نيو مكسيكو
16/حزيران /1996م 29/محرم /1417 هـ

الجزء الأول

مشاكل ومسائل

قال تعالى:

"كتاب أنزلناه إليك ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب."
سورة ص (29)

وقال:

"وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً."
سورة الإسراء (82)

الفصل الأول: بمقدورك الهروب وليس بمقدورك الاختباء
الفصل الثاني: مقدمة في مواجهة المشاكل
الفصل الثالث: النظر في بعض المشاكل

الفصل الأول

بمقدورك الهروب وليس بمقدورك الاختباء

إن مواجهة المشكلة ومعالجتها هما الخطوة الأولى في إيجاد حل لها، كما وأن التغاضي عن المشـــكلة أو التظاهر بأنها غيـر قائمة فعـلياً يسمح لها بالتنامي والتفاقم.

وكما يعاني الفرد من مرض، فإن الأمـة تعـاني كذلك مـن الأمراض.
إن من الطبيعي وجود المشاكل والأمراض لكن من غير الطبيعي قبول التعايش معها والركون إليها.
«معرفة المشكلة هو نصف الحل.» هذا صحيح، لكن الصحيح أيضا هو أن الحلول الشافية لهذه المشاكل موجودة ومنذ مئات السـنين. فَلِمَ لا ننقب عميقـــا، ونكشف عنها الغطاء كي نصل إلى جـــذور المرض ونتلمس الحلول والعلاج اللازم.

وإن ضعف الإيمان في القلب، والفشل في ممارسـة جوهـر الإســـلام إضافة إلى الفحشاء والعوز والفرقة في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ما هي إلا أعراض لأمراض مزمنة. وها نحن - على سـبيل المثال - أكثر من خمسين دولة مسلمة - وقد أقام العديد منها نظماً سياسية واجتماعية واقتصادية لا تختلف فقط عن بعضها البعـض، بل ولا تنبثق من التعاليم الإلهية والأصول الدينية ومعظمها، إن لم يكن جلها، لم تحقق النجاح المطلوب. قال الله تعالى:

"تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور." سورة الملك 67:2

كما قال:

"إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيراً." سورة الإنسان 2

الفصل الثاني

مقدمة في مواجهة المشاكل

قال الله تعالى:
"وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون." سورة الزمر 6/39

كما قال:
"وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ." سورة هود 52

من خلال معالجة ما وقع فيه المسلمون من أزمات فإنه غالباً ما يفاجأ ويندهش الباحثون في وجود الكم الهائل للمشاكل والأمراض العاصفة التي تحدق بالعالم الإسلامي. فالمسلمون في شتى أنحاء المعمورة–مع بعض الاستثناءات - يعانون من التفرق وانعدام الأمانة والصدق، والتخلف في مستوى أعمالهم.

إن تردي حالة المسلمين هو نتيجة طبيعية لعدم صفاء الإيمان في قلوبهم. فقد تلوثت قلوب العديد من المسلمين بأشياء بعيدة عن الله تعالى والمعرفة الحقيقية له، وبالتالي فإن الفشل يعد انعكاساً لهذا التلوث.

إنّ انعدام الأخلاق وفقدان الإيمان الحقيقي، الذي سوف نتطرق الى مواضيعه أدناه في الجزء الثاني والثالث والرابع، قد أديا إلى الفشل على المستوى الديني والاجتماعي والتقني والسياسي والاقتصادي على السواء.

بعض أهم المشاكل التي يواجهها المسلمون هي:
- الكيد المتواصل ضد الإسلام.
- التعصب وعدم التسامح وضيق أفق التفكير.
- التشدد والتكفير وقتل النفس التي حرم الله.
- التأمل للوصول إلى النجاح دون بذل الجهود اللازمة لذلك.
- التمزق – والانقسام.
- سوء استخدام الثروات.
- الغش، والعنصرية.
- النفاق وفقدان الثقة والأمانة.

الفصل الثالث

النظر في بعض المشاكل

ا- الكيد المتواصل ضد الإسلام

لمئـــات من سـنين مضـت، دبرت ونفذت مؤامرات لمحو الإسلام والمسلمين من الوجود.

وقد ظهر هذا الاتجاه جليا خلال العصـور المظلمة بعد أن استطاعت مجموعة من سياسة الإنكليز والفرنسيين – الذين تدعمهم الكنيسة – خداع شعوبهم وذلك بالدخول في حروب دينية ضد المسلمين بادعاء تحرير القدس. وقد دامت هذه الحروب – والتي سميت بالحروب الصليبية- مائتين وخمسين عاماً. وقد لُقِن الجنود المسيحيون أن قتالهم هو في سـبيل الله وأن المسلمين أعداء الرب وأنصار الشيطان.

والغريب في الأمر أن أمما تدخل في حروب بهذا العمق ولعدة قرون وهي لا تعرف حقيقـة عقيدة من تقاتل – من المسلمين – في أنهم يعبدون الإله الذي عبده ابراهيم وموسى وعيسى وأن المسـلمين يستهدون بتعاليم هؤلاء الأنبياء كما يستهدون بتعاليم النبي محمد، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

ومن سوء النتائج التي خلفتها تلك الحروب أنه - حتى يومنا هذا- لا يزال ملايـين من الأطفال المسـيحيين يُرَبـَّوْن على كره المسـلمين والإسـلام على ادعاءات مضـللة ومعلومات محـرفة وغير صحيحة.

إن الدوافع الحقيقية لحروب الصليبيين هي مكاسب اقتصادية وسياسية بما فيها الوصول إلى الاستقرار ضمن أوطانهم، علاوة على ذلك فإن الحروب الصليبية لم تنته بعد، ولكنها أخذت أشكالاً أخرى.

فبعد الحرب العالميـة الأولى مُزق العالم الإسلامي، بدأً من بنيته السـياسية إذ وعدوا الشـريف حسـين شـريف مـكة، بأنـــهم سينصبونه ملكاً على كافة العرب. حيث ساعدوه فيما بعد ليخلق حرباً أهليّـة ضد الإمبراطورية الإسلامية العثمانية. وقد أثار «تي إي لورنس» وهو ضابط انكليزي، الشعور القومي لدى العرب وشجعهم على الثورة والعصيان ضد الأتراك المسـلمين وبعد أن نجح العـرب المسـلمون في إخراج الأتراك المسـلمين من الجزيرة العربيّـة، لم يف الإنكليز بوعدهم الذي قطعوه على أنفسـهم للشـريف حسـين، بل وعلى العكس من ذلـك قاموا بتقسيم الامبراطورية العثمانيّـة إلى دويلات واحتلوها ثم عينوا ابن الشريف حسين -عبد الله- أميراً على ما كان يسمى بشرق الأردن، وفيما بعد نصـب ملكاً على الأردن. وعينوا ابن الشـــــريف حسـين الآخـر (فيصل) ملكاً على سورية أولاً ثم ملكاً على العراق لاحقاً. وعينوا (عبد العـزيـز بن سـعود) ملكاً على جزء من المملكـة العربيـــة السعودية.

وقاد المسيحيون الماكرون، على نحو متزايد، انكلترا وفرنسا حملة في اختراق الاقتصاد الإسـلامي في العمق، وقاموا بغسل عقول الشـعب المسلم بإدخال أفكار ومفاهيم مضللة وخادعة في تفكيرهم والتي أعانت على إبعادهم عن الإسلام والازدهار.

ففي لبنان، وعلى سبيل المثال، تم فتح المدارس المسيحية والإنجيـليّة وكانت تلك المدارس تستقبل الأطفال المسيحيين والمسلمين على السواء وتعلمهم الديانة المسـيحيّة، وكان القائمون على تلك المدارس يختارون الطلاب المسيحيين ويقومون بإرسالهم إلى فرنسا لإنهاء دراستهم العليا هنـاك، بينما كان الطـلاب المسـلمون

يُبَلّـغون بأنه ليس باستطاعتهم السفر لأنهم مسلمون.

وبالطبع فقد كان أولئك النــاس من ذوي الدرجات العلمـــيّة الأوربيّــة يفضّلون عن غيرهم من المسلمين، ويتم تنصِيبهم في المناصب السياسية ذات النفوذ في البلاد.
وبهذه الطريقة فقد تم تأمين حماية مصالح الدول الأوربية الاقتصاديـــة والسياسية في لبنـان وحتى يومنا هذا لا يزال، بل ينبغي أن يكون كافـة مؤسسي هذه المدارس الإنجيلية والمسيحية من الأوروبيين.
إضافة الى هذا، لم يكن يسمح للمدرسين المسيحيين المحليين من التدريــس في هـذه المدارس. وكانت هذه المبادئ تمارس في كلٍ من سـورية والأردن وتونس والمغرب ومصر إضافة إلى ليبيا وغيرها.

ملاحظة: خلال زيارتي لأبوظبي ودبي في مايو من هذا العام، 2023 وجدت أن هذه المؤامرة لتربية أبناء المسلمين تمارس تماما في دول الخليج العربي. المدرسون والإداريون العرب المحليون والقادمون من الدول العربية المجاورة يفصلون من مهامهم في المدارس الحكومية، ثم تُمَلّك شركات أجنبية غربية إدارة التعليم لهذه المدارس. من مهام الإدارات الغربية فرض التعليم باللغة الانكليزية بقوة القانون.

أما بالنسبة للمسلمين في بلاد السند، فبحلول عام 1860 بعد الميلاد، حيث كان الاستعمار الغربي بسياسته التي تقوم على "فرّق تسد" قد احتل الهند وأشعل فتيل الحقد بين المسلمين والهندوس الذين كانوا يعيشون مع بعضهم في سلام لأكثر من ألف عام، وذلك منذ دخل المسلمون الهند، وكانت النتيجة أن قامت الحرب بين المسلمين والهندوس وانقسمت الهند.

ورغم أن كثيرا من الدول العربية والاسلامية قد حصلت على استقلالها من الاستعمار فقد تم استغلال الأشكال الأخرى من السيطرة الاستعمارية واستخدام الحكام والحكومات لخدمة مصالحهم الاستعمارية وقهر الشعوب وامتصاص خيراتها الطبيعية وإيقافها عن النمو والتقدم.

ونتيجة لإبتعاد المسلمين عن الإسلام الحقيقي وللتدخل الغربي فقد غاص المسلمون في التعصب المذهبي والانقسام وعانوا من الشعور باللامبالاة والتحاد والفقر.
فما الانتهاكات والمذابح والفظائع التي نفذت في العصر الحديث في كل من سورية والعراق ولبنان وفلسطين والبوسنة وأذربيجان والشيشان وغيرها إلا بعضاً من الأمثلة على الدمار الذي حل بالمسلمين لسوء بعض المسلمين فهمهم لإسلامهم، ومن ثم تحفيزهم وتمويلهم من الغرب. وهكذا رفع الأمن ووقعت الحروب الاهلية في في هذه البلاد الآمنة.

ومن أمثلة الكيد المتواصل ضد المسلمين هو مهاجمة العـراق لتدميـر شـعبه وايقـاف تقدمـه العلمي والتكنولوجي. ليس هذا فحسب، بل وللقضـــاء على وحدة الدول المصدرة للنفط (أوبك) وإضعافها والتي يعد أعضاؤها على الأغلب من الدول الإسلامية.

لقد وَجَد التعصب والتكفير والأنانية وحب الدنـيا طريقها الى قلوب المسلمين واستمروا بالانشغال بذلك حتى تفرقوا واختلفوا وخارت قواهم وهانوا على أعدائهم. ولو احتفظ المسلمون بجـذوة الإســلام الحقيقي في داخلهم لما تدهور وانحل العقد الذهبي للعالم الإسلامي.
إن ما أصاب الأمة الإسلامية لا يعني أن هذا قدرا محتوما عليها بل هو نتيجة لتراكمات أخطائنا لعهود طويلة.
قال تعالى:

"فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين." سورة الصف 5

ومن ناحية أخرى، فإن أولئك الذين يختارون طريق الهداية ويسيرون عليه فإن الله ينصرهم ويزيد في خيراتهم وتفوقهم. قال الله تعالى:

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ.﴾ سورة هود52 :

كما قال:

"والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ".سورة محمد 17

ب- التعصب وعدم التسامح وضيق أفق التفكير

إن التعصب هو علّة العلل والذي ينمي التشدد والغلو الديني والسياسي والاجتماعي، ويفضي إلى عدم التسامح الذي يترك المسلمين يعانون من الانقسام والبغض والطيش والتهوّر. من نتائج هذا التهور القتل والعنف والحروب.

فالعديد من المسلمين ينتمي عاطفياً إلى مجموعات سياسية أو اجتماعية أو دينية بطريقة تعصبية غير سليمة، والحقيقة فإن الشذوذ غير السوي هو في رؤية جانب واحد أو جزء منه على أنه الجانب السليم فقط ورؤية بقية الجوانب أنها على خطأ دون الرجوع إلى الدين والعقل والمنطق السليم.

هذه العقلية السلبية في التعصب جعلت عدداً كبيراً من المسلمين أكثر ولاءً لمجموعاتهم أو إلى طريقة تفكيرها أكثر منه إلى الإسلام نفسه. فكيف لأمة كهذه الإخاء والوحدة؟

إن علينا ألا ننسى الظاهرة: «سماحة الإسلام» والتي من شأنها إنجاز أي عمل إسلامي في عدة طرق. وتعتمد هذه الظاهرة على أن الاختلاف في تطبيق بعض الأوامر والنواهي وارد عن رسول الله. وعلينا ألا ننسى أيضا الحقيقة الذهبية بأن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان. فَبُنْيَةُ الإسلام ديناميكية متعددة ومرنة، وهذا شيء طبيعي لاستيعاب عادات الأمم وعلى مر السنين. فإنه من المحتمل جداً لمرونة الهدي الإلهي أن يجد المرء طرقاً عدة لعمل شيء ما، مخالفاً تماماً لطريقة واحدة لا غير.

وهكذا فإن المعرفة والعلم لدى عالِم معين يمكن أن تختلف عن المعرفة والعلم لدى عالِم آخر، ويمكن لهذا الاختلاف أن ينجم عنه عدة أشياء متنوعة ومتجددة حسب الزمان والمكان، لكن هذا الاختلاف يوجب عدم النظر إليه بطريقة سلبية، بل يوجب الأخذ به بطريقة إيجابية للوصول إلى أسمى النتائج.

بالإضافة إلى هذا وذاك فإن عدم مرونة المرء في قبول تلقيه المعرفة من عدة مصادر يُضَيِّقُ أفقه في المعرفة الإسلامية ويحد من قدراته كي يكون فعّالاً، فسنة الله في خلقه هي:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ." سورة الحجرات 13

لقد أثارت الحالات الشديدة من السلبية نحو بعضنا البعض الكثير من العداوة والبغضاء، وقسمت العديد من المجتمعات الإسلامية وقلبتها الى رحى حرب كما نجد في ليبيا واليمن والعراق ولم تزل سورية تعاني منه.

ينبغي علينا أن لا ننبذ الرأي الآخر بل نحاول أن نتفهمه وتمنحه بعضاً من الاحترام. يقول الإمام الشافعي: كل مسألة تكلمت فيها وصح الخبر فيها عن رسول الله عند أهل الفقه بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي. وفي موضع آخر اقتبس عنه «إذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط.»

صحة المجتمع ووحدة المسلمين أولى من اختلافهم في تطبيق بعض التفاصيل الإســـلامية. ولهذا فيجب على المسلم الحق أن يكون متسامحاً ومتفهماً، كما يجب أن يكون حكيماً. المسلم الحق هو الرجل أو المرأة المسلمة اللّذان يريان الأهداف السامية للإسلام ولا يتعثران في الأمــور الثانويــة. ايضا، عندما يتخلى كل مسلم ومسلمه من براثن التعصب، فإنهما سيفتحان أفقاً رحباً، مليئاً بالطرق التي تؤدي إلى تحسين حياتهما وحياة مجتمعيهما.

ت- إحباط الهمم وتوقع الوصول إلى النجاح والازدهار بدون بذل الجهود المطلوبة لذلك

إنه من الأسباب الرئيسية في انهيار المجتمع الإسلامي هو التعليم الخاطئ للمسلم أن يتكل على الله دوما، وأنه لا ضرورة للقيام بأعمال الاصلاح والدعوة والبناء، لأن الله تعالى هو الذي يهدي ويطعم وأنه على المسلم أن يرضى في قضاء الله فيه، لأن رزقه مكتوب وأجله محدد. وهذا تماما مضاد لشريعة الله في بني آدَم القائمة على الإيمان والعمل معا:

"وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أولئك أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿82 البقرة﴾

"وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ." البقرة 25

"اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ." 13 سبإ

وإن من هؤلاء من لم يؤمن بصحية الشبكة أعلاه في ترك العمل، نجد في أعمالهم إدارة خرقاء وبدائية وغير بارعة. فالعديد من المسلمين عن دراية بعدم إتمام أعمالهم أو بأداء عمل غير متقن معتقدين أن الله سبحانه وتعالى سوف يتمه لهم، فقط لأنهم مسلمون متكلون عليه. ولأنه هو قادر على نصرهم. ولكن عندما يشعرون بثقل الفشل للنتائج المحتومة لعدم تدبر أعمالهم، فإنهم يعزون الفشل إلى إرادة الله وليس إلى أخطائهم.

هذا الاعتقاد والأفكار الشائعة باسم الدين هي ما جعلت من المسلمين من هم أقرب إلى الموت من الحياة. لننظر معا الى مثال قريب في اللائحة أدناه، المماثل للعديد من الأمثلة والخطب الاسبوعية المتداولة بين المسلمين.

ماذا تنطوي عليه اللوحة أعلاه وعن ماذا تحدثنا؟ الجواب، إحباط الهمم في أي عمل أو مشروع. القعود والكسل واللامبالاة حتى الموت. وكأن لسان حالها يقول: لا عليك، لا تُنشد أي عمل، راوح مكانك، لا تحاول الانطلاق للأسمى. لأن الحياة رحلة بسيطة لا تستحق العناء، وأن وضعك هو ما كتبه الله عليك، واعلم انه لا يصيبك إلا ما كتب الله عليك. لأن قدرك (التعيس) مكتوب ورزقك محسوب، وعمرك محدود - إرضَ بقدرك المزري، لا حاجة لك لأن تخرج منه أو تغييره - تعايش معه وابتسم.

إن كان لا يصيبنا إلا ما قدر الله علينا، فلمَ أرسل الله تعالى الرسل ورسالاتهم؟ ولم كتب علينا الدعوة إلى الله؟ ام ان الله تعالى تركها للصدفة؟ وهل سخر لنا السماوات والأرض للعمل ام للقعود؟

"وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ." 13 الجاثية﴾

ألا يناقض الاعتقاد برمته في اللوحة أعلاه كافة التعاليم الإسلامية وقيمها؟ لنأخذ فقط صِحِيَة الإيمان المقرون دوما بالعمل من الآيات.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ 82 البقرة﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ 75 آل عمران﴾

هل للعلم والإيمان معنى بدون عمل؟ ما معنى قول الله تعالى:
"وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ." 39-40 النجم

أليس خلق الموت والحياة هو للسباق لفعل الخيرات، كما أشار القرآن؟
"الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور. " 2 الملك

أنىّ لدعوة اللائحة أعلاه أن تنير للمسلم الطريق لتحقيق أوامر الله تعالى بتدبر الحياة وبإعمار الأرض وبالسباق للإصلاح وفعل الخيرات؟ لننظر إلى أمثلة من آيات أخرى.

هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ 61 هود﴾
ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ 125 النحل﴾
أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ 61 المؤمنون﴾
لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ 30 النحل﴾
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ 9 المائدة﴾

بالإضافة لما سبق، وانطلاقا من الآيات اعلاه وغيرها في كتاب الله تعالى، عَرَّفَ السادة العلماء شريعة الله في خلقه بقولهم:
"الشريعة هي وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة إلى ما فيه صلاحهم في معاشهم وفلاحهم في معادهم."
https://youtu.be/wn-qkgrpL6w

إذاً، فشرع الله تعالى مصمم لجعل الانسان سعيدا صالحا مصلحا. السؤال الذي يفرض نفسه: كيف حُورَت شريعة الله تعالى في معيشة المسلمين، دون غيرهم، من التعلم والابتكار والإنتاج والعمل للإصلاح والتقدم إلى إحباط للهمم وقتلا للعلم والعمل والإصلاح باسم قدر الله؟

كيف وصلنا إلى هذه المحصلة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه:
«لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين.» رواه مسلم

ث- الانقسام والتفرقة

نجد انقسام المسلمين على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي سواء. هذا الواقع بارز بكل صوره على مستوى العائلة والمجتمع والفرد، الا ما رحم ربى. ففي معظم العائلات الإسلامية يختلف أفرادها حول الأمور الإقتصادية والسياسيّة والدينيـّة سواء. وينعكس ايضا هذا الاختلاف على مستوى الدول والشعوب. ولربما يعزى هذا الإختلاف، كنتيجة أولية، لحب المال وتكديسه ،ولتداخل العقائد والأيديولوجيات السياسية التي طغت ومحت من الوجود اعتبار الإتحاد والإخاء.

وقد أدى هذا المنتحى إلى العداوة والبغضاء، وهما الوحش الكاسر الذي يعيش بين جنبات الأفراد والعائلات والقبائل والمجتمعات. إن هناك أكثر من خمسين دولة إسلاميّة، وهذا أوضح دليل لهذا التمزق. والأسوأ من ذلك أن من الدول من ازداد في التمزيق والتكتل في هذا العصر كالسودان وليبيا والعراق.

لقد كان من احدى انجازات النبي الهامة توحيد مئات من القبائل العربية الممزقة في شبه الجزيرة العربية وصهرها في بوتقة أمة اسلامية واحدة.
ان تفرق المسلمين في وقتنا الحاضر يعد أزمة رئيسيّة يجب العمل على حلها ومعالجتها. كما أن الخروج من قوقعة الأنا هو أحد الطرق المثلى لتحقيق الوحدة، كما أنه على المسلم الحق أن يدع ويتخلص من المفردات مثل سنّي وشيعي وسلفي وصوفي وما شابهها من قاموسه اللغوي، إضافة إلى التخلص من أية بوادر تثير الفرقة بين المسلمين. قال تعالى:
"ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا (فارقوا) دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون." سورة الروم 32
لسوء ثقافة المسلمين وقلة علمهم بقرآنهم، تجد بعضهم مصراً على أن ينمّي العداء ويبدي الحقد والبغضاء لإخوانه وأخواته من المذهب الآخر.

أما على الصعيد العائلي فإن العديد من الاختلافات والتصدعات ضمن مجتمعاتنا يمكن تفاديها إذا ما أعار المسلمون انتباهاً أكثر لدورهم ومهماتهم وذلك بتحسين الاتصالات فيما بينهم والنقل الصحيح والصادق للقضايا والمشاكل التي بينهم.
انظر موضوعنا https://islamic-study.org/relationships-and-forgiveness/ العلاقات الاجتماعية والعفو والمغفرة.

ج- سوء استخدام ثروات المسلمين:
معظم ثروات المسلمين تستخدم لصالح غير المسلمين وللحفاظ على قيمة الدولار الأمريكي من الانهيار. سوء التصرف بالثروة أيضا يؤدي إلى الفقر بإضعاف القاعدة الاقتصادية لكافة المسلمين.
ولسوء الحظ، فإن العائد من ثروات المسلمين لا تستخدم لإحياء اقتصاد المسلمين ولا للسعادة الاجتماعية لهم، وبدلاً من ذلك، فإنها تخزّن أو تستخدم في بلادٍ غير إسلاميّة. وقد أدى إخفاء أو تكديس الثروة بكل أشكاله، بدل استعماله في النهوض بالاقتصاد، إلى البطالة والفساد على كافة المستويات لدى بلاد المسلمين.
فرشوة المسؤولين وموظفي الحكومة، والغش والخداع لأجل المكسب الشخصي، والمحاباة في تعيين أناس في مراكز ليسوا مؤهلين لشغلها، والسرقة والنصب هي بعض من النتائج لحقن الاقتصاد وتخزين الأموال.

ح- الاحتيال والخداع والتمييز
إن التفرقة في التوظيف والتعليم لبعض العاملين والمهنيين المسلمين شئ شائع فيما بين المسلمين مع أنه تصرف يتنافى تماماً مع مبادئ الإسلام. وهذا يبدو جليا عندما ترفض بعض الدول الاسلامية طلبات لمهنيين يحملون أسماء اسلامية ويستعاض عنهم بآخرين غير مسلمين مع أنهم يحملون نفس الشهادات ولهم نفس الكفاءات إن لم يكن أكثر. هذه الصدمة أثرت سلبيا في الصحة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات الإسلامية بكاملها.

كما أن حرمان أبناء المسلمين من التعليم فضلاً عن ممارسة التفرقة في التوظيف والرواتب يعد مناقضاً للقيم والأخلاق الإسلامية، وبالتأكيد فإن الله سبحانه لن يرضى عن ذلك. فأين هذا من المبادئ الأساسيّة للإسلام التي تتجلى في قوله تعالى:

"وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان." سورة المائدة 2

أما لدى غير المسلمين في أمريكا مثلاً، قامت جماعات الأقليات كاليهود والفيتناميين بوضع مبادئ ونظم - وهي في حقيقتها عين المبادئ الإسلامية - قيد التطبيق والعمل والتنفيذ حيث أقاموا منظمات تُعنى بتقديم المساكن والمساعدات النقدية والمعنوية للأفراد من جماعتهم لإعانتهم لبناء الحياة.

إن ذلك يعكس أسباب نجاح وقوة ونفوذ هذه الأقليات في أمريكا. على النقيض من ذلك، فلا يوفر المسلمون مثل هذه البرامج، بل إن العديد منهم يقومون فعليا بتخفيض رواتب إخوانهم أو أخواتهم في الإسلام، فيعطونهم رواتب متدنية مقارنة مع رواتب غير المسلمين.

ومن ناحية أخرى فإننا نجد أمورا شخصية وثانوية كاستخدام السبحة لذكر الله واتخاذ اللحية أو فتح صالون للحلاقة والذي ربما تحلق فيه الذقون. هذه الأمور وما ماثلها تطغى على غيرها من الأمور الجوهرية والتي فيها ما يحيي المسلم أو يميته.

نعم؛ علينا أن نحترم سنن الإسلام بأكملها ولكن يجب أن نتعامل وفق أهميتها. كمعيشة المسلم مثلا، وإلا وقعنا في تجنٍ كبير على مبدأ الميزان في الإسلام. أوليس من الدين التعامل مع كل شأن من شؤون الإسلام بحسب درجته من الأهميّة؟

ولنسأل أيضا لماذا عندما يتعلق الأمر بمسألة جديّة فيها سبل القوة للمسلم وازدهاره ومعيشته لا نأخذ الأمر بالجدية اللازمة؟ وبالتالي فإن هذه المواقف الخاطئة لهؤلاء المسلمين مسؤولة ولو جزئياً عن تحول العديد من الناس عن اتّباع الإسلام لما يعطيهم من أفكار لا تصلح لواقع الحياة.

ومما يؤسف له، فحيث تكون ممارسات التفرقة الدينية والتفرقة القوميّة ذات طابع مقبول ومقنن، كما هو الحال في أقطار تدعي بأن حكومتها اسلامية، فإننا نجد أن التفرقة الدينية والقومية محرمة في أمريكا مثلا مع أن أغلبية الناس فيها غير مسلمين.

إن ممارسة وتطبيق المبادئ الإسلامية مثل تكافؤ الفرص في العمل، ومبدأ التعليم للجميع هو سبب من أسباب نجاح أمريكا. فلم لا ننعم النظر في نجاح المبادئ الإسلامية في أرض غير إسلامية؟؟ ولم لا يستورد المسلمون أو بالأحرى يعيدون استرداد مثل تلك القيم ومن ثم يطبقونها على أنفسهم بدلاً من استيراد رقصات الديسكو وموسيقى الروك الصاخبة وعلب سجائر المارلبورو واللوكي وممارسة الفساد الأخلاقي الفاحش؟
وبالمناسبة دعونا نتأمل في هذه الآية الكريمة لتعمل في أعماق نفوسنا،

"أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار."
سورة ص 28

والحقيقة فإن المسلمين لا يؤذون الا أنفسهم بإعاقة بعضهم وتفويت فرص العمل على إخوانهم وأخواتهم في الإسلام وهذا حقا بفعل أيديهم، وليس كما يَرُده بعضهم إلى الله سبحانه وتعالى. إن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر !!فهو القائل:

"إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون."
سورة النحل 5

خ- النفاق مع فقدان الصدق والأمانة

إن تعامل المسلمين مع بعضهم البعض ضمن حدود كميات قليلة الثمن من البضاعة، أو في أمور عمل خفيفة التكلفة تبدو بظاهرها وكأنها تتم حسب القيم والمبادئ الإسـلامية. ولكن عندما ترتفع حدود التعامل للمئـات والآلاف النقدية ينسـى كثير من المسلمين المبادئ التي كانوا يتغنون بها في المعاملات البسيطة التكلفة، ولربما يبحثون عن فتاوى ليقنعوا بها أنفسهم عدم بعدهم عن الحدود الشرعية. وبالتالي فقد تؤول تلك العلاقة إلى فساد في هذه العلاقات لغياب خاصية الحق والعدل منها.

وللأسف فإن أعداداً هائلة من المسلمين، ممن ضعف إسلامهم ولم ينبع من صميم قلوبهم، يمارسون أساليب ومبادئ مختلفـة بالكليـة عن روح الدين، فنقض العهود والاتفاقات، والكذب وخداع النـاس وغيرها. كل هذه الممارسات يقوم بها المسلمون مقابل مكاسب رخيصة ودنيئة وأنانية.

هذا هو الوجيز والتصنيف الأولي لبعض المشاكل التي نعاني منها. وبإلقاء نظرة أعمق إلى هذا الكم الهائل من المشـاكل فإننا نجد أن بعضاً منها ذو طبيعة معقدة، بينما بعضها الآخر ذو طبيعة بسيطة؛ وعليه فإن التداخل ما بين البسيط منها والأكثر تعقيداً غالباً ما ينتج عنه مستوى من المشـاكل أكثر تعقيداً. وفي حين تتم بعض هذه المشـاكل كنتيجة ارتكاب خطأ واحد؛ فإن العديد منها يكون نتيجة ارتكاب أكثر من خطأ.

وتُظهِر العديد من الحـالات عند تفحصها قصصـاً عن الجهـل وسـوء التطبيق وسوء المعاملة، وسوء السلوك - والتي هي محط اهتمامات هدف الإسـلام من تفعيل الحكمة. لكن الأسوأ من كل هذا غيـاب جوهـر المحتويات الأساسيـة التي تعـد أساسـاً لأيـة علاقـة عمل صحيحة - ألا وهي الأمانـة، والصـدق، والشـرف، والإخلاص، والنية الحسنة نحو بعضنا البعض.

يجب أن تنبع هذه الخصائص من أعماق القلوب والنفوس الإنسـانية. هذا مما تختص به وتحتضنه التزكية التي يهدف إليها الإسـلام لتطهير النفس من الداخل حتى تؤدي العمل الصالح السليم والناجح. واللذان هما من أهداف التركيـة والحكمة على التوالي. وسوف يرى القارئ هذا التصنيف النموذجي عند دراستنا العلاج والحلول للمشاكل.

الجزء الثاني:

معالم في مكونات الحل

قال الله تعالى:

"والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها، والسماء وما بناها، والأرض وما طحاها، ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها."

سورة الشمس الآيات 1 – 10

وقال تعالى:

يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون.

سورة الجمعة الآيتان10- 9

الفصل الأول: ايضاح في مقومات الحل: الكتاب التزكية الحكمة

الفصل الثاني: علم التزكية مطلب أساسي لنيل النجاح

الفصل الثالث: علم الحكمـة انموذج للسنن الاجتماعية

الفصل الأول

ايضاح في مقومات الحل: الكتاب التزكية الحكمة

استِشهاد:

يتضمن هذا الكتاب رسالة لإحياء الأمة برمتها. ويعتبر الحل المطروح في هذا الكتاب حلاً شمولياً حيث يضم تحت أجنحته المعادلات والآليات لحل كل أنواع المشاكل والمعضلات. وإن هذا الحل يمثل البناء الرباني الحكيم للامة والذي بتطبيقه، تلقائيا، تُفلِح معظم الاعمال، وتتضاءل وتموت معظم المشاكل والمعضلات. وهو معادلة إلهية مكونة من مبادئ تربوية وتعليمية ثلاثة: علوم الكتاب والتزكية والحكمة التي وضعها الله تعالى للإنسان كمنهج لبناء الحياة والتربية والتعليم.

إن خطورة أحوالنا تُحتم علينا حلا ذا اتجاهين، الأول منهما الأخذ بالعناصر المفقودة للإيمان الحقيقي، والثاني العمل على هندسة الحلول فيما يخص المشاكل المعقدة والمتقدمة. ويقتضي النموذج الأول من المعالجة العودة لفهم جوهر الإسلام الحقيقي. أي أنه يجب إعادة المسلم إلى المكان الذي يمكن منه أن يفكر بشكل سليم، ويخطط بشكل صحيح، ويؤدي العمل بشكل سوي.

إن الآية التالية تظهر لنا الإسلام الحقيقي والذي جاء به النبي (ص) عن ربه سبحانه وتعالى. حيث يقول الحق عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام:

ربنا وابعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم.

البقرة الآية 129

هذه الآية الكريمة تبين لنا مواد الإسلام الحقيقية، وأن رسالة النبي (ص) مكونة من ثلاثةَ أمور رئيسية وهي:

1- علم الكتاب (وهو القرآن الكريم ذو اللفظ العربي).
2- علم الحكمة.
3- علم التزكية (الطهارة الروحية والنفسية).

هذه المواد الثلاث توضح فحوى ومحتوى رسالة النبي (ص)، والتي تتضمن روح ومقاصد الدين.

ونستنتج من بيان هذه الآيات أن المؤمن الحق هو ذلك الشخص الذي ينهل المعرفة من القرآن الكريم بكل جوانبها الدينية والدنيوية ويطبقها، ويطهّر قلبه ونفسه من الآثام والشرور، كما ويملأ قلبه بالقيم والصفات الربانية وفضائل الأنبياء، ويتمثل آداب وآليات الحكمة في إدارة أعماله وشؤونه لتفادي الفشل.

فعندما يصبح القلب مفعما بحب الله وخشيته وعندما تبنى الأعمال الناتجة عن ذلك على الخطوات السليمة والأفكار الحكيمة وعندما تصبح معرفة علوم القرآن الكريم فعالة وتفضي إلى القيام بوظيفتها، عندها فقط يصبح المسلم مؤمنا حقاً. وعندما يتجاهل المسلم أيا من هذه العناصر الثلاثة يصبح المرء مؤمناً ناقص الإيمان. وإذا ما فشل المسلم في القبول والعمل بهذه الثوابت الثلاثة فإنه يصبح بالتالي عبئاً على الإسلام بدلا من أن يكون سنداً وعوناً له.

ولسوء الحظ فإن الغالبية العظمى من مسلمي اليوم قد فقدت علوم الحكمة والتزكية بحيث أصبحت كلمة (التزكية) غريبة على مسامع المسلمين رغم أنها تشكل ثلث هذا الدين الحنيف. وفي رأيي، فإن غياب العناصر والمكونات التي تتصل بهاتين القضيتين الثابتتين هو بالتقريب السبب الكامن وراء كافة الآلام والإخفاقات التي يعاني منها المسلمون اليوم.

إن مدرسة (التزكية) فيها الشفاء من معظم الأمراض الاجتماعية التي يعاني منها المسلمون والجنس البشري على السواء. لنقرأ معا الآيات الكريمة التالية:

"ربنا وابعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم." البقرة الآية 129

"لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين." آل عمران الآية 164

"هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين." الجمعة الآية 2

إن هذه الآيات تؤكد أهمية التزكية والحكمة وأنهما تتبوأن منزلةً ساميةً وعالية عند الله تعالى. كما أنها تؤكد على أن الكتاب والحكمة والتزكية هي اللبنات الأساسية القرآنية في بناء الإسلام وشخصية المسلم.

فالكتاب (القرآن الكريم) هو المرشد والهادي ويحتوي علمه وهديه كافة الأمور الاجتماعية والروحية والمعرفة الدنيوية الضرورية لبقاء الإنسان آمنا وسليما على الأرض. ويتضمن ايضا الأمور التي تتصل بالإنسان ومسؤولياته ووظيفته في الحياة. والحكمة والتزكية ما هم الا موازين العدل والأخلاق في تدبير كل أمر من أمور الحياة. لتوضيح هذه النقطة انظر موضوعنا الميزان المفقود في الجزء الثالث، الفصل الأول.

إن القرآن الكريم يوفر الهداية والنور للناس لقوام وبناء حياتهم. إذ يشمل العقيدة وموجبات العبادة والأحكام الجنائية والمدنية والفقه (الحلال والحرام والكيفية في تطبيق الشرائع)، والعبر والدروس من تاريخ العديد من الأنبياء والأمم السابقة، وايضا علاقة المسلم بالله تعالى وبالرسل والبشر وبنفسه.

ويبدو أن اهتمامات معظم المسلمين تتركز على المظاهر الخارجية (القالب)، والاليات في العبادات، أما الباطن وهو (القلب) والذي يعتبر العنصر الحي في كل أمر ومسألة، لا نجد له إلا إهتماماً قليلاً عند الأكثرية من المسلمين.

فلقد تم تطوير الكثير من العلوم الفقهية، مثلا، للمحافظة على ضوابط النواحي الفيزيولوجية والوظيفية .فعلم مصطلح الحديث (أحاديث النبي(ص)) وتطور قواعد اللغة العربية ومدارس الفقه (الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وغيرهم) والتي تشرح بتفصيل واسع أحكام الشريعة الإسلامية في هذا المجال هي بعض من العلوم التي تم تطويرها. لكن مواضيع كالتزكية (التطهير الروحي) والإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك)، لم يهتم بهما شرائح واسعة من المسلمين، مع العلم، أن هذه الجوانب هي الاهم في تكوين شخصية المسلم وتهيئها للنجاح في الحياة.

خُصص الجزء الرابع (مخطط تمهيدي للحلول) من هذا الكتاب ليبحث في مخطط وتفاصيل الحل في علم الكتاب والحكمة والتزكية.

الفصل الثاني

علم التزكية مطلب أساسي لنيل النجاح

يقول الله تعالى:

"ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير." سورة فاطر الآية 18

جزء كبير من بناء شخصية المسلم يتكون من مدرسة التزكية، وهي تطهير القلب والروح لإنبات الحياة الروحية والأخلاق الساميتين.

إن الخصال الحميدة من حبٍّ لله ورسوله ومعايشة أسماء الله الحسنى – التي يجب أن نعيش معها بقلبنا وعقلنا وأعمالنا – ومن تطبيقٍ للأخلاق الإسلامية –كالكرم والصدق في المعاملة والإيثار وغيرها إنما تنبع من مدرسة التزكية. وحتى نرى مكانة التزكية عند الله وفي كتابه دعونا نقرأ سورة عبس حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

"عبس وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى، أو يذكر فتنفعه الذكرى، أما من استغنى، فأنت له تصدى، وما عليك ألا يزكى، وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فأنت عنه تلهى." سورة عبس الآيات 1-10

سبب هذه القصة والآيات أنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث مع رجل من أكابر قريش مؤملاً هدايته. وفي هذه الأثناء يأتي الصحابي عبد الله بن أم مكتوم، وهو رجل أعمى، طالباً المزيد من الهداية والإيمان فيشيح النبـي صلى الله عليه وسلم عنه، يريد أن يتابع مع القرشي آملاً في هدايته، فتنزل هذه الآيات من سورة عبس طالبة من النبي الكريم عليه السلام أن لا يتجاهل أي مخلوق جاهدٍ في طلب التزكية والهداية والإيمان.

بالإضافة إلى هذا المنحى في الدعوة الى الله تعالى فإن هذه السورة تطلعنا على شيء آخر يحظى بالاهتمام وهو عظمة ومكانة التزكية عند الله سبحانه وتعالى.

إن مضمون هذه الآية هو أن: التزكية هي أصل ثمين من أصول الحياة الروحية وقيمها العليا، وتظهر هذه الحقيقة جلية إذ أن الله عزّوجل اتخذ التزكية المحور الأساسي للنقاش في موضوع التأنيب.

ففي المرة الأولى خاطب الله عزوجل نبيه الكريم بقوله: (وما يدريك لعله يزّكى،) أى ما يجعلك يا محمد تفكر بأن (عبد الله بن أم مكتوم) ربما يفلح فلاحا عظيما عند اقتباسه التزكية. وهذا دليل صريح بأن التزكية، في لغة القرآن، إنما هي أصل من أصول اقتباس العلم في الإسلام. وأن الواجب، في أصل الأمر، على النبي عليه الصلاة والسلام ومن يمثله أو يرثه في التربية أن يؤديها للغير في أي وقت ومكان. ويؤكد هذه النقطة أيضا قوله تعالى:

(وأما من استغنى) أي رجل قريش، (فأنت له تصدى) أي فأنت يا محمد تسعى جاهدا في تنويله التزكية، (وما عليك ألا يزكى) أي لا يهينك ولا يضيرك يا محمد ممن لا يتقبل أو يتكبر لقبول التزكية.

(وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فأنت عنه تلهّى،). فهذا الصحابي الجليل جاء يسعى طالباً التزكية والتذكرة من معلميها وخبرائها، والاحرى والاهم الاهتمام بمن يطلب التزكية، لا لمن ليس عنده أي اهتمام بها.

يترتب من هذا التسلسل المتلاحق للتزكية أنها محور اساسي صميمي في الدين والدعوة الى الله وأنها عظيمة الشأن في عين الله، قام بفعلها رسول الله وواجب علينا وعلى كل مسلم السعي إليها وطلبها من العلماء والمقربين إلى الله.

إن تزكية النفس للازدياد من الإيمان هو مما يرضي الله سبحانه وتعالى ،وطلابها محببون إلى الله سبحانـه وتعالى، بل إن الله يدافع عنهم ويطلب إنصافهم. ولذا فإن على كل مؤمن أن لا يتوقف لحظة واحدة عن طلبها والتزوّد منها، فهي سـبيل النجاح في الدنيا والآخرة. ويؤكد هذا قول الله عزوجل:

"قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها." سورة الشمس الآيتان (9- 10)

ومصداقا آخر لعظمة وأهمية مكانة التزكية في عين الله تعالى أنه سبحانه أقسم سبعاً متلاحقات محققا مؤكداً في ذروة القسم، على أن في التزكية سبيل لنجاح المؤمن، قائلا:

"والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلاّها، والليل إذا يغشاها، والسماء وما بناها، والأرض وما طحاها، ونفس وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دسّاها." سورة الشمس الآيات (1-10)

ولهذا فإننا نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كثيرا ما يدعو الله ويقوم الليل متذللا إليه سائلا إياه أن يتولاه ويزكيه. روي عن ابن عباس رضي الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم اعتاد عندما يقرأ هذه الآية (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) أن يتوقف ويقول: (اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وخير من زكاها.)

ويروي أيضا الإمام أحمد في مسنده بأن السيدة عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم قالت بأنها في إحدى الليالي لم تجد النبي في فراشه فراحت تتلمسه (ص) فوجدته ساجدا في صلاته وهو يقول:

"اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليّها ومولاها."

ذكر الله تعالى:

إن أحد العناصر الرئيسية لإنماء التزكية هو ذكر الله تعالى. فالذكر هو مجموعة من الطرق والتي بموجبها يتذكر المسلم بها ربه ويتقرب إليه في قلبه ونفسه وجوارحه.

إن كلمة (يتذكّر) بمفردها لا تعكس معنى (ذكرالله) لأن ذكرالله هو التعايش مع صفات الله تعالى والتماس أوامره ونواهيه. وهذا هو أكثر من تذكّر شيء ما في العقل اوالذاكرة.

فالذكر هو العبادة التي تساعد الناس على جعل قلوبهم مفعمة بالنور والضياء، أقرب الى الله، مُتَنَعمة بذكره وذكر أسمائه الحسنى. وهذا ما يحقق الطمأنينة والراحة النفسية. قال الله تعالى في سورة الرعد:

"الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب." سورة الرعد الآية 28.

إضافة إلى ذلك فقد روى أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه.)

وروى شداد بن أوس بأنه أثناء الصلاة اعتاد النبي عليه السلام أن يطلب من الله تعالى قلبا خاشعاً وخاليا من الهمّ والغمّ وهو يقول: (وأسألك قلباً سليماً.)

والصفات الحسنى لله تعالى كثيرة وكل واحد من هذه الصفات موضوع في حد ذاته يتحدث عن ذاتية الله تعالى. وبما أن المؤمن الحق يعمل للاقتراب من الله تعالى وحبه، فإن هذه الأسماء الحسنى تمكن الإنسان أن يكون مؤمنا حقا وجدير بالثقة كما يمتثل أن يكون حكيما وناجحا ومحبا للخير ومتواضعا وصادقا مع الله.

وكنتيجة لهذه المعرفة والحضور الوثيق مع الله تعالى أيضا أن تصبح أعمال التقوى شيئا طبيعيا في الإنسان)المسلم،(بينما تكون الأفعال الشريرة نادرة في تكرارها. نماء هذا الانعكاس في أعمال المسلم هو نتيجة المعرفة العميقة بالله تعالى وصفاته الحسنى.

ويمكن للمسلم أن يلحظ تغيرا في قلبه وذلك من خلال دوام آلية الذكر. فالله تعالى وضع العديد من الوسائل والطرق لتحقيق التقوى والنقاء في النفس. وإحدى الطرق للبدء في العمل بذكر الله هي أن تفتح قلبك ليتعلق بالله وأن يرتبط بهداه. اليك الان بعض من النقاط التي تساعدك لتملأ قلبك بحب الله.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهو القلب.

فعندما يُنقى القلب من كافة الرذائل، يصبح مهيئا ليتقبل نور الله تعالى. عند ذلك فإن بقية الجسد وكافة حواسه سوف تستقيم وتصلح مقتفية أثر القلب. وعلاوة على ذلك يبين النبي عليه السلام أهمية دور وجود الإيمان في القلب وذلك عندما قال: إن الإيمان ليخلَق في جوف أحدكم كما يخلَق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم.

وروى أبو داود والنسائي وابن ماجة. عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين والذاكرات."

ويقوي المرء ذكره لله تعالى بالتطلع والتأمل في آياته وخلقه. ومنها يحقق في نفسه بعضا من صفات الله تعالى في أسمائه الحسنى كالرحمن، الرحيم، عالم الغيب والشهادة، القادر، الملك، الباقي، الكريم، المتعال، والمهيمن. كثيرا من الأحيان، تصبح آيات الله في خلقه الصفات التي يستقي المؤمن منها غذاءه الروحي والنفسي والإيماني.

فهناك العديد من الدلائل الكونية الباهرة والتي وردت في القرآن الكريم، والتي يمكن للمؤمن أن يبصر من خلالها عظمة الله تعالى ومدى قدرته. فالكون على سبيل المثال أحد هذه الدلائل.

في منتصف القرن الماضي، قدر اينشتاين عدد المجرات في الكون ب٢٠٠ مليون مجرة. لكن البعض لم يستوعب ذلك وسأل انشتين كيف يمكن لهذا العدد من المجرات ألا تتصادم؟ فكان جواب اينشتاين كالتالي:

إذا وضعت ذبابة في القطب الجنوبي وذبابه على خط الاستواء وذبابة ثالثة على القطب الشمالي للأرض، ما هو الاحتمال لأن تصطدم هذه الذبابات مع بعضها البعض؟ فذهل السائل لان احتمال ذلك هو أقرب الى الصفر. هذا تمثيل قريب لعقل الإنسان للاستيعاب في سعة الفضاء بالنسبة لحجم المجرات.

عبرة:

فعلماء الفلك الحديث يصورون لنا مدى اتساع هذا الكون بافتراضه مسبحاً دائرياً ذوا قطر وعمق، ويقولون بأن قطر الكون – بالمناظير الإلكترونية - هو٩٣ بليون سنة ضوئية. حيث أن هذا الكون الضخم يضم ما يقارب من اثنا تريليون مجرة. تبتعد هذه المجرات عن بعضها البعض الملايين من السنين الضوئية والتي مثلها العلماء بذرات تراب صغيرة أو ما شابهها في وسط الماء.

كل من هذه المجرات تحتوي على ما يقارب 800 بليون نجم وكوكب قياسا على مجرة درب التبانة. بعض هذه النجوم والكواكب تبعد عن بعضها البعض الملايين من السنين الضوئية. كل هذه المجرات والنجوم والكواكب تسبح في الفضاء، وكل في مداره، بسرعات ومدارات تختلف عن بعضها البعض. أما الشمس والمجموعة الشمسية تعتبر غير موجودة باستخدام هذا المقياس، مع العلم ان الشمس (نجم متوسط الحجم) تستوعب 1,300,000 أرض كأرضنا أو كوكبنا.

ومن المعلوم أن سرعة الضوء هي 300,000 كم في الثانية، وأن ضوء الشمس التي تبعد عن الأرض قرابة 93 مليون ميل (150 مليون كم) هو تقريبا ثمان دقائق، فما ظنك بكون قطره ليس يوماً أو سنة أو مليون سنة ضوئية، بل 93 بليون سنة ضوئية؟ سبحانه وتعالى، عالم الغيب والشهادة، كم هو رحيم ولطيف بخلقه؟

مواقع النجوم في مداراتها:

إنه لَمِنْ أعقَد الحسابات الهندسية عند الإنسان معرفة إحداثيات جسم ما في الفضاء والأعقد من ذلك إن كان متحركا ومتسارعاً. فما بالك بتلك القدرة التي تعرف، وبكل طرفة عين أو أقل، وتتحكم بمدار وسرعة وتسارع 200 بليون ترليون نجم وكوكب في هذا الكون؟ هذا عدد الاجسام العملاقة ودون الأجسام الصغيرة كالأقمار والنيازك. عدد من الأجسام المتحركة يعجز عقل الإنسان عن تصوره. من أجل هذا، حين أقسم الله تعالى بعظمة هذا المشهد، شهد سبحانه وتعالى بأنه "لقسم لو تعلمون عظيم،" اذ قال:

"فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ." سورة الواقعة 75 - 80

كما اكتشف العلماء أن هناك في هذه المجرات خلقا جديدا وتحطيماً أبديين للنجوم والكواكب. وهذا ما يمكن تفسيره بيوم القيامة لتلك النجوم والكواكب ومن عليها. ويمكن لنا بذلك أن نفسر قضية يوم القيامة ونهاية كوكبنا وانطفاء شمسنا الذي وعدنا الله به.

إضافة إلى ذلك فإن العلاقات بين خلق الأرض والبشرية والدواب والعلاقات الفيزيولوجية والفكرية القائمة بين مجامع هذه الخلائق ما هي إلا مؤشرات ودلائل حقيقية على ألوهية الله ربوبيته وحكمته وعظمته. هذا الخلق ما هو الا دليل قاطع على عظمة الله ومدى رحمانيته بخلقه، بدأ من الخلق الصغير كالفيروس والذرة الى المجرات وكافة أنحاء الكون بطوله وعرضه.

إن تأملنا وتفكرنا بهذا الكون يشدنا الى رؤية الكثير من الدلائل على وجود الله سبحانه وتعالى ووجود الجنة والنار واليوم الآخر. كل هذا الخلق، من صغيره الى كبيره، ما هو إلا مؤشرات لنتذكر الله تعالى ولنتقرب اليه.

ومما يدل على اهمية ذكر الله أن هناك أكثر من خمس وسبعين آية في القرآن الكريم تتحدث عن الذكر بشكل مباشر وربما تطرح موضوعه بطرق مختلفة، كما أن هناك المئات من المواضع الأخرى في القرآن الكريم تتحدث عن الذكر ولكن بطريق غير مباشر كما بيناه أعلاه، فمثلا، قال تعالى:

"أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور." سورة الحج الآية 46

وقال:

"وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون." سورة الذاريات الآيتان (20-21)

وقال:

"أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى." سورة طه الآية 128

وقال:

"لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون." سورة الحشر الآية 21

وقال:

"فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق." سورة البقرة الآية 200

وقال:

"واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين."

سورة الأعراف الآية 205

يا لها من آيات مُطَمئِنة ومُسَكِنة لخوالج القلوب والنفوس.

وحتى تتجلى آيات الله في الاكوان ومخلوقاته في القلوب فإنني أدعو كل مسلم وعلى أساس يومي أن يقوم بلقاء صامت وشخصي من كل قلبه لمحاسبة نفسه مع ربه صباحا ومساء، وهذا حتى تتضمنه خصوصية الآية الكريمة:(واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين.)

وأن يتعلم المرء أن ذكر الله تعالى ليس مجرد تحريك للشفاه واللسان بذكر وحمد لله سبحانه وتعالى إذا كان الذهن والعقل شاردين ولكن مع حضور القلب والعقل معا. إن ذكر الله تعالى هو الشعور الجميل والرضا العميق الذي يتحقق عندما يقوم الشخص بممارسته بتركيز كامل في قلبه وعقله. قال الله تعالى:

واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا. سورة المزمل الآية 8

وقال الله تعالى:

"يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون." سورة المنافقون الآية 9

وهناك أيضا أشكال كثيرة أخرى من الذكر كالصلاة المكتوبة وصلاة الليل والإبتهالات والأدعية والتأمل والتفكر والدراسات الأكاديمية لمخلوقات الله، إضافة إلى تلاوة القرآن وتدبر آياته ودراسة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته. إن الذكر يزيد في الإيمان ويضيئ النفوس ويقرب الإنسان من الله سبحانه وتعالى ويمنح القلوب الشفافة والسعادة والرضا.

"إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون." سورة الأنفال الآية 2

ويؤدي هذا النوع من الإيمان العميق إلى وجود رغبة ونزعة أقل نحو توظيف الدنيا لمجرد جمع المال وتحقيق الجاه. إن ذكر الله هو العنصر الرئيسي في كيان المؤمن الحق والذي يحقق درجة الإحسان ويهدي إلى أحسن القيم الأخلاقية. وان حقيقة الفوز والازدهار في هذه الحياة يعتمد بشكل مباشر على درجة تطبيق فضائل وقيم هذه المدرسة الروحية والنفسية مصداقا لقوله تعالى:

"قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى." سورة الأعلى الآيتان (1-15)

فإن كانت الثقة من أسباب الوصول للأعمال الدنيوية الناجحة فإن التزكية هي الأساس ليس فقط للثقة ولكن أيضا للحياة الطيبة والروابط الصادقة. إن ذكر الله هو سبب رئيسي للوصول إلى حب الله سبحانه وتعالى وهو بدوره يقضي على كافة بذور وأنواع الفساد، وهو طريق النجاح والتقدم.

إضافة إلى ذلك فقد أنبأنا الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي (ص) أنه قال:

(إن الله تعالى يقول: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه.)

إن الفرائض وعلى رأسها الصلاة المكتوبة هي وسائل إلى ذكر الله، حيث يأمرنا الله تعالى:
"وأقم الصلاة لذكري." طه 14

وحتى مناسك الحج قد شرعت لتحقيق ذكر الله، ونقرأ ذلك في قوله تعالى:
"وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ،ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير." سورة الحج 27, 28

ليست هذه إلا مناقشة موجزة لأهمية ذكر الله تعالى في الإسلام بينما يتغاضى عنها ويهملها العديد من مسلمي هذا اليوم. على الذين يودون أن يسلكوا سنة النبي (ص) أن يعيدوا تنظيم حياتهم لإقامة هذا العنصر الروحي والذي بدوره يساهم في طهارة وتنقية النفس البشرية.

وهكذا، فالتزكية تعد إحدى الركائز الأساسية للإسهام الإسلامي في سعادة الجنس البشري. فكما أن الجسم يحتاج إلى القوت كي يبقى صحيحا كذلك الروح تحتاج إلى الغذاء الروحي. وعلى مسلمي هذا اليوم أن يأخذوا بجدية علم التزكية ويعطوه الأولوية في حياتهم.

الفصل الثالث

علم الحكمة نموذج للسنن الاجتماعيّة

قال رسول الله (ص):
الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. رواه الترمذي في مجمع الزوائد

وحيث أننا الآن قد فصَّلنا وبيَّنا الآلية الأولى المطلوبة لعلاج أزمة المسلمين وهي التزكية، دعنا الان نعيّن العلاج الثاني ألا وهو علوم الحكمة وكما ذكرنا آنفاً، الحكمة تعالج معظم مشاكل المسلمين، البسيطة منها والأكثر تعقيدا .

تتضمن آليات الحكمة أشكالاً عديدة لمعالجة المشاكل، وحيث أن بعضها له ظروف عويصة ويتطلب حلولاً متقدمة وتطبيقاً متقدماً للخروج منها. وقد أوردنا أدناه في الفصل الرابع سنة الإتقان مثالاً نموذجياً لحل هذا النوع من المشاكل.
ولكن فإعادة الوسائل الرئيسية والمفقودة للعلاج الأولي في التزكية هي ضرورية لأي حل متقدم، ولن تكون الحلول المخططة والمتقدمة فعّالة حتى يعود المسلمون إلى جوهر الإسلام الكامن في الصدق والأمانة ونقاء القلب والإخلاص والقرب الوثيق من الله تعالى.

وهذا يوجب على المسلم تعديلات جذرية في جميع شؤون ونمط الحياة. فعندما يُرفَع الكذب والجشع والمعاملة السيئة لبعضنا البعض، فإن العديد من المشاكل البسيطة ستختفي وسوف تتحول المشاكل المركبة والأكثر تعقيداً إلى مشاكل بسيطة والتي في نهاية المطاف ستختفي أيضاً. وإننا لنجد في كتاب الله تعالى النداء للمسلمين للأخذ بمدرسة الحكمة كمنهاج للحياة، اذ خاطب الله تعالى أمهات المؤمنين بقوله:

"واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة." الأحزاب 34

إن كافة العناصر والمواقف الضرورية لتحسين عمل المسلم يمكن وجودها في مدرسة الحكمة.

تعريف الحكمة لدى الفقهاء:
ذكر بعض مفسري القرآن الكريم معنى الحكمة الوارد في سورة الجمعة آية 2 بأنها تشير إلى سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومن بين هؤلاء الإمام الشافعي، وقد شرح بعض المفسرين المعنى العلمي والفلسفي للحكمة. فالعالم الإسلامي الكبير ابن القيم الجوزية في كتابه (مدارج السالكين) عرف الحكمة بطريقة علمية وعملية:

الاصطلاح العلمي:
هي الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمراً، قدراً وشرعاً.

الاصطلاح العملي التطبيقي:
فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي.

هذا التعريف بشقيه هو تعبير يكشف مدى استمرارية وعمق آلية الحكمة للبناء والنجاح في أي مكان وزمان. فالتعريف العلمي يدفع المسلم لمعرفة عميقة ودقيقة لكل شأن من شؤونه او الامر الذي يعالجه أو المشكلة التي يعمل على حلها. بعد ذلك تقتضي الحكمة على المسلم دراسة معالم هذا الشأن الذي يعمل عليه بالنسبة إلي بنيته الطبيعية والالهية (قدرا) ومن الناحية الناحية الشرعية، قانون الله تعالى في التعامل معها (شرعا). هذه المعرفة تعطي الإنسان المسلم خبرة مثالية في بنية الشيء أو الأمر بحيث يمكنه وبسهولة تقدير الحكم فيه وعليه. هذه المعرفة هي أصل أصيل من أجل التعامل مع كل الأمور بالعدل والميزان، للوصول الى النجاح.

وتظهر فعالية الاصطلاح التطبيقي للحكم على الأمور بالعدل والميزان لأن الناس لها طبائعها وعاداتها والتي تختلف وتتغير بالنسبة للزمان والمكان والظروف السياسية والاقتصادية وجغرافية الأرض. هذه العوامل وغيرها يجب أن تأخذ بعين الإعتبار عند إيجاد الحل أو تحليل الأمور والمعضلات.

وبناء على التعريف العلمي للحكمة فإنه يمكننا الحصول على أجوبة لأمور فقهية كثيرة جديـــدة أو متجددة، بعد أن نعرف كل المعرفـة ما تنطوي عليه هذه الأمور الجديدة في بواطنها) قدرا (والنظام الشرعي الأصلي فيها)شرعا)، ثم تطبيق خطوتين:
الخطوة الأولى: الإحاطة بمعرفة طبيعة المادة وماهيتها.
الخطوة الثانية: تطبيق القاعدة الإسلامية العامة التي تقول، (لا ضرر ولا ضرار.)

حتى نحسن فهم هذه النظرية او الفكرة، نطرح المثال التالي حول مادة الكوكائين التي لم تكن موجودة في وقت نزول الرسالة وهل يحلُ للمسلم اليوم استخدامها؟
نعلم أن المخدرات بأكملها والتي تشمل الكوكائين هي كيماويات أو مواد طبيعية تؤثر على عمل الدماغ سلبيا وتجعله يصل إلى نتائج فكرية خاطئة وغير سليمة او صحيحة.
هذه المعلومة حول الكوكائين تحقق الأمر الأول الذي تتطلبه المعادلة وهو معرفة طبيعة المادة التي نحاول إخراج الحكم فيها .وعند تطبيق القاعدة الثانية (لا ضرر ولا ضرار) فان نتيجة الحكم الشرعي حول مادة الكوكائين تبدو في تحريمه، لأن الكوكائين يسبب تعطيل الحياة بتعطيله لعمل الدماغ.

وعندما تطبق هذه القاعدة على كل أمر، وبشكل صحيح ومتقن، فإن الجواب على كل مسألة سوف يكون ضمن حدود الشرع الإسلامي، بإذن الله.

إن إنجاز الأعمال على حسب تركيب الحكمة هو استجابة للكثير من مآلات هذا الدين الحنيف. فالحكمة تقتَضي وتملي أن يكون المسلم متحليا بصفة الذوق الصائب والمرونة في بناء امر ما او حل عقدة في أمر ما. ومن مراد الحكمة أيضا أن يكون الإنسان المؤمن قائما بأعماله بتمام الكمال والدقة، وباجتهاد وبذل ودراسة تامة لكل أحوال أمره، ثم وضع ما هو مناسب من الأمر في المكان المناسب، وفي الوقت المناسب، وعلى الشكل المناسب. وهذه الأمور بمجموعها، ربما هي استجابة لنداء الله تعالى في أن نقيم الميزان في كل خطوة ومرحلة من اعمالنا، إذ يقول الله تعالى:
"اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ. ﴿١٧ الشورى﴾. وكما يقول ايضا، لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ." الحديد 25

أرجو من القارئ أن يشاهد الفيديو الذي تم إخراجه في عام 2023 والذي دعوناه الميزان المفقود. الرابط ونص الفيديو هو الفصل الاول من الجزء الثالث التالي.

لهذا وبناء على التعريف العلمي للحكمة- مرة أخرى- وما سيأتي من أعمال النبي عليه السلام في الجزء التالي من الكتاب، سنن منسية ومبادئ في هندسة الحلول، أقول: إن المرء ليتوقع أن تكون التعابير المتداولة ذات الصلة بالحكمة والطرق المنهجية للبحث وتطوير أدوات النجاح أشياء معروفة بعمق في ثقافة المسلمين. إذ أنها أصل من أصول تعاليم دينهم. فينبغي أن نرى ولأقل الاحتمالات إقامة المواسم أو الاحتفال بالإنجازات العلمية وآليات التطور المصممة من أجل النجاح أمور طبيعية ومتوفرة. وإنه يجب أن نجد منتجات جيدة ومبهرة نتيجة لاستخدامهم الطرق المنهجية للبحث والتطوير التي اخترعوها أينما حلّوا . وأن نجد أيضا الكثير من الجامعات والمعاهد والمدارس في كافة أنحاء العالم الإسلامي تحمل أسماء كالحكمة والفلاح والابتكار ومرادفاتها.

أما الآن فنذكر للقارئ ما سوف نطرحه ادناه للاعتبار والتدبر إلى بعض المعالم المنسية من حياة المصطفى، التي لم تخرج الى حيز الوجود، لكنه صلوات الله عليه قدمها وسنها لأمته.

-تهييئ المسلم لمهمته في الحياة
-مرونة النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة مناهجه وعمله
-سنة التوثيق والتعويل والاعتماد
-سنة الأولويات
-سنة النوعية في مقابل الكمية
-سنة ضبط المواعيد والوفاء بالعهود والوعود
-سنة التثبت
-سنة التحقق من مصادر الأخبار
-سنة التدرج
-سنة المتطلبات الأساسية والرشد والنضوج
- سنة الإتقان
- سنة التخطيط في الإسلام

الجزء الثالث:

سنن منسية ومبادئ في هندسة الحلول

"لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا." ﴿22 الأحزاب﴾

الفصل الأول: فيديو الميزان المفقود ونصه
الفصل الثاني: معرفة أين تكمن سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم
الفصل الثالث: سنة التثبت
الصل الرابع: سنن في الحياة الاجتماعية والصالح العام الإسلامي
ا- تهييئ المسلم لمهمته في الحياة
ب- البناء على المشتركات وتغيير المرء من عدو الى صديق
ت- مرونة النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة منهاجه وعمله
ث- تحمل الهوان لتفادي الفواجع والفشل
ج- سنة المتطلبات الأساسية والرشد والنضوج
ح- سنة التدرج (الاتجاه المتدرج في التعليم والدعوة)
خ- سنة التوثيق والتعويل والاعتماد
د- سنة الاستقرار والثبات (الديمة)
ذ- أسلوبه (ص) في مخاطبة الناس
ر- سنة النوعية في مقابل الكمية
ز- سنة ضبط المواعيد والوفاء بالعهود والوعود
س- سنة التحقق من مصادر الخبر (التَبَيُّن)
ش- سنة الأولويات
ص- سنة الاهتمام والعناية بعلماء المسلمين ودعمهم
الفصل الخامس: سنة الإتقان
الفصل السادس: سنة التخطيط في الإسلام
ا- التخطيط في القرآن الكريم
ب- بعد النظر والتحقيق
ت- التخطيط في حياة النبي صلى اللـه عليه وسلم

الفصل السابع: اعتبارات روحية
آ- الصلاة في جوهرها
ب- موقع القلب في الاسلام
ت- موضع التقوى في الإسلام
ث سنة القنوت (الإطاعة مع السكينة)

الفصل الأول

فيديو الميزان المفقود ونصه

تم تخريج فيديو الميزان المفقود من قبل مركز الدراسات الاسلامية بكاليفورنيا في علم 2023. الرجاء مشاهدة الفيديو الذي له علاقة وثيقة بالحكمة وآلياتها على الرابط التالي.

https://youtu.be/5YdMOQKafNs

نص الفيديو لمن لم يستطع فتح الرابط:

الميزان المفقود
موحاة من تعاليم الدكتور عدنان ابراهيم.

https://youtu.be/WEMe4hkLxEI

نظرة عامة لأوضاع المسلمين وأعمالهم الدينية والدنيوية توحي بأنه نتيجة ربما تقول أنهم أضاعوا أمرا قَيِما وهو الميزان. ولو قمنا ببحث صغير حول أصولية الموازين في معايير الحياة، الدينية منها والاجتماعية والسياسية لوصلنا ببساطة إلى واقع هذا الإدعاء.

الميزان في القرآن:
يقول الله تعالى: "ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ." الشورى 17.
تدل هذه الآية الكريمة أن الله تعالى أنزل للبشرية القرآن الكريم هداية وتشريعا بالحق ومع هذا الكتاب أنزل شيئاً آخر وهو الميزان. فالواو في الآية هي واو العطف، كما القول، جاء علي وعمر. فعلي وعمر شخصان مختلفان. فما هو الميزان وما هو دوره في حياة المسلم؟

يقول الله تعالى:" لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ." الحديد 25
يقول محمد سيد طنطاوي في تفسيره الوسيط،
"وشاع إطلاق الميزان على العدل هو على وجه تشبيه المعقول بالمحسوس. فإن كان الكتاب قد جاء بالأحكام والشرائع، فالميزان أُنّزلَ لِتَطْبيقِ الشرائع والأحكام."

الحاجة للميزان:
هناك المئات بل الآلاف من الأعمال والشرائع والسلوكيات والتي يستوجب كل منها ميزانا لإيقامها وتطبيقها على أرض الواقع. وهذه الآية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى وضع الميزان للناس كمنهج لتأدية مصالحهم الحياتية والدينية على موازين أصولية ودراسة لا على الاعتباطية والعشوائية. فمجمل المصالح الحياتية والدينية تخضع لميزان العلم والعقل والحكمة ما شاء الله، بالإضافة الى تأثير الأوضاع الاجتماعية

والاقتصادية والسياسية. فليس من القسط إهمال الدراسات والبحوث في ميزان بناء الحياة والعمران. إن بدء البناء على اساس خاطئ عقليا كان أو حسيا، ليس من الميزان، بل لربما هو من مغريات إبليس.

مكانة الميزان:

لننظر إلى الآيات التالية لما بَيَنَ الله تعالى فيها للناس مقام الميزان وأولَوياتٍ مِثاليةٍ في العمل.

"ٱلرَّحۡمَٰنُ (1) عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ (2) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ (3) عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ (4) ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ (5) وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ (6) وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ (9) وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ." الرحمان 1-10

.

يبين الله تعالى في هذه الآيات الكريمات دلائل وتفاصيل كونية في الخلق متأصلة في رحمانيتة. من هذه المعايير علوم الحساب الضرورية لبناء معالم الحياة وتقويم وضبط الأعمال والمصالح. ومنها معيار البيان التي أهَلَت الإنسان لِتَقدير الأمور وفهمها لبناء المصالح العامة والخاصة التي عَهِدَها الله تعالى إليه لبناء الحياة.

ومنها معيار العبادة والخضوع إلى الله تعالى كما النجم والشجر الحافزة للإنسان التعرف والتقرب الى الله. ومن هذه التفاصيل الكونية الخارقة هي عظمة رفع السماء فوق الأرض، ونظيرٌ تلك العظمة هي وضعُ الميزان. وكأَن شان الميزان لا يقل أهمية عن شأن رفع السماء، ربما لما للميزان من أهمية في شؤون الناس، لتقوم أعمالهم وعلى كل المستويات والمناهج الحياتية، المعنوية منها والمادية، على معايير متزنة ومتكافئة.

الغائي والوسلي في الدين:

يقول الباحث الدكتور عدنان ابراهيم - فيما يحدث - أنه حتى يكون فهمنا للدين فهما صحيحا وأن ننفَذ الى جوهر الدين، لا بد أن يكون لنا القدرة على ان نميز بين الغائي والوسلي في الدين. أو بصيغة أخرى بين الأساسي في الدين والتكميلي، الجوهري والعرضي. وبمعنى آخر، نحتاج إلى ميزان في تقدير مواضع الشرائع والآيات الإلهية من حيث وظيفتها وأهميتها وكيفية استخدامها حتى لا نقع في الظلام والمهالك.

موضحا لهذه النقطة، يضرب الدكتور عدنان ابراهيم مثلا بافتراض إنسان وحيد على جزيرة نائية خالية من الناس. ما الحد الأدنى الذي يلزم هذا الإنسان من الدين يعتبر من جوهر الدين. أي أن المعايير الأخلاقية للتعامل مع الناس غير جوهرية لعدم وجودهم. الجوهري في هذه الحالة هو معرفة الله، التشوق إلى الله، الخشية من الله، الوصل بالله، الإقبال على الله.
آيات الله في الخلق والملكوت ما هي إلا سُبلٌ لمعرفة الله. والعبادات ما هي إلا منفذ للوصول إلى معرفة الله.

هناك أمور من الدين مما توجبه حاجات الاجتماع البشري. فالامور العرضية هي الأمور الخاضعة لطبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتأثرة بالتغيير المستمر الناتج عن التقدم العمراني والتحضر.

بخس الميزان حقه:
انطلاقا من هذا المبدأ، يغدو موضوع الدولة كموضوع الجهاد القتالي غير جوهري أو عقدي، إنما هو اضطراري. مثلا، لو أن قريش لم تقف في طريق دعوة رسول الله لعبادة الله وحده ولم يُجَابه بأي اعتداء، من قبيل خلوا بيني وبين الناس، وأن لكل منهم حرية الإعتقاد، من قبيل لكم دينكم ولي دين، هل يكون هناك داعية للجهاد بمعنى القتال والحرب؟ لا. فإن وضعنا الجهاد القتالي حيث لم يضعه الله ورسوله، لم نعدل وبخسنا ميزان الجهاد حقه ووقعنا في المهالك.

فعندما أوذي المسلمون واضطُهدوا وأُخرجوا من ديارهم بظلم، عندها أُمِروا بالدفاع عن أنفسهم. لذلك أتت آيات الله تعالى تقول:

"أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ." الحج 40-39

وكما قال عليه السلام، "لولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت." أبو يعلى في مسنده 69/5

بنفس المقياس، هل الإسلام دينٌ ودولة؟ ومصحف وسيف؟ حتى أن البعض يرى ذلك من أسس العقيدة. فالجواب لا. فأينما يكون اجتماع بشري تقوم الضرورة لإدارته، من القبيل، إن كنتم اثنان فأمروا أحدكم. ادارة هذا الاجتماع البشري بشكل عمومي يسمى سياسة. فلا بد من منطق السياسة والدولة مهما اختلفت طبيعة الناس واعتقاداتهم.

لكن الدولة، كالجهاد، أمر غير عقدي بل عرضي. لذلك لما عُرضت الدولة على رسول الله صلوات الله عليه وأن يكون ملكا للعرب قاطبة، رفض. علما بأن هذا العرض كان قائما لسنين عديدة، ما دام عليه السلام في مكة. فالنبي عليه السلام أعلم بموقع الدولة في الدين وأنها أمر عرضي ولا بد منه، له أو لغيره.

ثم، هل كان هناك دينار إسلامي في وقت رسول الله؟ لا. كان الدينار الذهبي الاصفر بيزنطياً وعليه صور اباطرة بيزنطة وعليه الصليب. وكان الدرهم ابيض فضي فارسياً وعليه صورة الاكاسرة. لم تسمح المعايير والموازين الاقتصادية والتجارية بوقت رسول الله التهيؤ لهذا، وظل هذا الوضع إلى أيام عبد الملك بن مروان.

فضلا عن هذا، فان الامور الغير جوهرية والعرضية تحتمل التطور والإبداع. عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مثلا، ابتكر الدواوين، اولها ديوان الجيش. كان هذا تطورا نوعيا لم ينزل به الكتاب ولا جاء في السنة. ولكن اضطرته شروط وحاجيات الاجتماع الناتجة عن تطور الدولة.

ايضا، تَغَيرَ نظام الجيش مما كان عليه في وقت النبي إلى وقت عمر. ففي زمن النبي كان نظام الجيش تطوعا. للراكب سهم وللفارس سهمان. وإن خرج الجيش فالمُتَوقَعُ في عودته أياما وليس شهورا.

هذه الموازين اختلفت في وقت عمر، تعقدت الأمور، لم تعد بالبساطة إذ ترامت أطراف الدولة من فارس إلى الشام ومصر. فاضطر عمر أن يدون الدواوين، وأولها ديوان الجيش. وبهذا بدأ الجيش أن يصبح مؤسسة (وزارة في لغة العصر). ونتيجة لبعد المَحارب جَمَرَ عمر، رضي الله عنه، الجيش (فرض تطويل مدة غيابه) وجعل للمُحارب أجرا شهريا يعطى لأهله وأسرته لصعوبة رجوع المُحارب إلى المدينة ثم العودة إلى الأمصار.

علاوة على ذلك، عندما وجد عمر رضي الله عنه خللا في ميزان الجانب الحيوي للأسرة، إذ سمع امرأة ليلا تُشْعِرُ قائلة، "لقد طال هذا الليل واسود جانبه وأرقني ألا ألقى خليلا ألاعبه..." عندها قال لنفسه، ويل لعمر! يرسل الجنود لشهور عديدة بعيدا عن نسائهم في المدينة؟ فاستشار ابنته حفصة رضي الله عنهما حول مقدار الزمن الذي يمكن ان تبتعد الزوجة عن زوجها، فأشارت إليه بأربعة أشهر. وعليه أصدر قانونا أن لا يبقى الزوج بعيدا عن امرأته أكثر من أربعة أشهر.

ومن نافذة اخرى، يقول الدكتور عدنان ابراهيم ان النظام العقابي في قطع اليد لم يكن تشريعا إسلاميا في أصله. النبي لم يَفتَجر (يختلق) ويبتدع قطع يد السارق. كانت العرب تقطع يد السارق في الجاهلية، ولا قطع فيما ربع دينار.
المسلمون الاول ميزوا بين المعايير الجوهرية في الدين والعرضية. عمر رضي الله عنه، مثلا، بدل قانون الدية في القتل الخطأ. ففي وقت النبي كانت الدية على العاقلة، القاتل واخوته الذكور وأبناء العمومة.

ولكن في وقت عمر لم تكن العصبة في مكان واحد. ربما أحد أفراد العصبة في فارس والآخر في الشام. فجعل دية القتل الخطأ على ديوان الجيش. وهذا بالطبع مخالف للسنة التي كانت على وقت رسول الله. لكن عمر كان يقدر تماما أن مثل هذه الأمور المدنية والاقتصادية ابتُلي فيها الإسلام، ولذلك تعاطى معها بما يحقق موازين متجددة للمصلحة العامة.

فكما كان رسول الله وصحابته يبنون خططهم وأعمالهم على الواقع الذي كانوا يعيشونه، فالميزان الحق في اتباع السنة النبوية المحمدية هو أن ننشئ خططا واعمالا مبنية على الواقع الذي نعيشه ومما يتناسب مع بيئتنا السياسية والاجتماعية والتكنولوجية وسرعة عصرنا. عندها يكتب لنا النجاح والتقدم كما كتب للمسلمين الأول. وإلا وقعنا في الإخفاق. اسال الله تعالى أن ينور أبصارنا وعقولنا وقلوبنا لاستيعاب خطورة الميزان وأهميته في بناء ديننا ودنيانا.

الفصل الثاني

معرفة أين تكمن سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

يقول الله سبحانه وتعالى:
﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً. ﴾ [السورة 33 الآية 22]

ويقول الله سبحانه وتعالى:
"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ." المائدة 76

بصدد شأن تبليغ الرسالة المكلف بفعله رسول الله (ص) المطروح في الآية أعلاه، يقول الدكتور عبد الواحد وجيه، رئيس مؤسسة التوجيه للبحوث والمعرفة في إيضاح لعلم البلاغة :
"البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال."
ثم يوضح قائلا،
"أي أن يطابق كلامك مقتضى حال السامع. فإن لم يفهم السامع فالمشكلة عندك وليست عنده."

من هذا المبدأ في التبليغ يمكننا استنباط ماهية سنة النبي صلوات الله عليه لتكون "أسوة حسنة" لبناء حياتنا كما سوف نرى في هذا الفصل.

يعتقد بعض المسلمين اليوم أن بعضا من العادات والوسائل التي كانت سائدة في الجزيرة العربية في القرن السابع والتي استخدمها النبي (ص) لتدبير أموره هي سنة من سننه التي يجب أن نأخذ بها، وبناء على ذلك فإنهم يقومون بتطبيقها ويلزمون بها غيرهم من المسلمين.

نجد هذا المنحى موجوداً في كثير من بقاع العالم، مما ينجم عنه الإساءة إلى حقيقة الإسلام وينعكس سلباً على المسلمين إذ يعطي الاسلام صورة الرجعية والتأخر. اللباس والذي يلائم الطبيعة الصحراوية الحارة فقط ،هو أحد هذه الأمثلة. مع العلم ان هذا النوع من الألبسة هو لباس متداول بين الجميع في ذلك المجتمع؛ فالكافرون كأبي لهب وأبي جهل والمنافقون كابن أبي سلول مارسوا هذا النوع من الالبسة.

ونحاول هنا لفت الانتباه إلى حقيقة سنة النبي محمد (ص) كما أداها شخصه الكريم. وسنميز هنا بين طريقة ادارة النبي للأمور وبين العناصر التي استخدمها تمييزاً واضحاً لبيان السنة الواجب اتباعها.
لقد اعتمد النبي محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته للإسلام على الوسائل والعادات السائدة في زمنه للوصول إلى الحلول الصائبة ثم اختيار أنجحها. وكان لابد لمعالجته للأمور بأن يأخذ في الحسبان عادات الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، ولولا ذلك لما أحرز النجاح في مهامه.

فما كان متوفراً لدى النبي (ص) من الوسائل والعادات الاجتماعية في زمنه قد لا يتوفر في أمكنة وأزمنة أخرى، وأن العادات قد تتغير نتيجة لتغير الزمان أو المكان أو الاثنين معا. ومن الصحيح أيضا أن العادات البشرية والوسائل قد تتغير نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي. ومن هنا نستخلص أن هذه الوسائل والأدوات التي استخدمها النبي (ص) قد لا تكون جزءاً لا يتجزأ من سنته بل هي الوسيلة التي استخدمها لتنفيذ خطته طبقا للعادات الاجتماعية والوسائل المتوفرة في مجتمعه.

من هذا يمكننا القول إن السنة الحقيقية للامتثال بالنبي محمد (ص) تكمن في إدارته للأمور منبثقة من محيطه وعادات مجتمعه. وعليه فإن السنة الحقة في اتباعه (ص) اليوم: هي تخطيط وتدبير أمورنا مبنية على وسائل عهدنا وعادات وسطنا والإمكانيات المتوفرة لدينا.

ولتبيان نظرتنا هذه اسمحوا لنا بدراسة قصة رحلة النبي (ص) إلى الطائف. ففي العام العاشر من البعثة قرر النبي (ص) أن يذهب إلى الطائف التي تبعد حوالي 150 كم جنوب مكة ليقوم بالدعوة ويطلب الحماية من أهلها. وكانت هذه الرحلة نتيجة للأذى المستمر والعقبات التي كانت قريش قد وضعتها في طريقه بمكة.

فلسنين عديدة وقفت قريش عائقا أمام دعوة النبي (ص) ومنعت الناس من الاتصال به، ومن ضمنهم المسافرون الذين كانوا يأتون مكة للتجارة أو غيرها. وإن تمكن النبي (ص) من التحدث مع أحد من الناس سارعت قريش لإفساد عمل النبي (ص) بتضليل من اتصل به واتهام محمد بالجنون والكذب والسحر. فألجأت هذه القيود وهذا الرفض المتكرر النبيَّ (ص) أن ينشد عون قبائل ثقيف في الطائف بغية الاستمرار بدعوته.

ما يهمنا من هذه القصة هو معرفة الأسلوب الذي استخدمه النبي (ص) لتضليل قريش عن إفساد خطته والوصول إلى الطائف دون تدخلها وايذائها اياه على الرغم من رصدها الشديد لكل تحركاته.
تبدو حكمة النبي (ص) في هذا الأمر جليةً في الطريقة التي خرج بها من داره للقيام بهذه الرحلة. فقد خرج النبي لهذه الرحلة مع خادمه زيد (الذي كان معروفاً حينها بابن محمد لأن التبني لم يُحَرَّم بعد)، دون أن يصحبه او يودعه أي من أتباعه المقربين أو دون ناقة محملة بمؤونة أو زاد.

فلقد كانت عادة العرب في جزيرتهم عندما يدلهم خطب أو سفر أن يجتمع للمناسبة كبراء القبائل وذوو الشأن. وتكمن حكمة النبي (ص) هنا في صرف انتباه قريش عنه بطريقة بسيطة، وهي أن يظهر بشكل لا يستدعي الاهتمامَ أو يشعر بسفر. فقد خرج النبي (ص) من داره مع خادمه زيد دون أي من أصحابه أمثال عمر وحمزة. وانطلق في رحلته دون ناقة محملة بزاد يشير الى سفر.

ويرى البعض أن هذا التصرف ادى وظيفته وأرسل رسالة لعيون قريش الساهرة بأن النبي(ص) خرج وراء غرض عرضي يضمن عدم اكتراثهم وعدم رصد تحركاته. وبذلك تمكن (ص) من السفر إلى الطائف والعودة لمكة دون مضايقة قريش أو إفسادها لخطته.

يدلنا هذا المثال أن النبي (ص) استعمل المنطق والعادات التي تحيط وتتصل بعصره لتدبير أمره. وتدلنا هذه القصة، رغم بساطتها، أن سنة النبي(ص) هنا هي قطعا الخطة في الإدارة بصرف النظر عن الوسائل والأدوات التي قد تكون اولا تكون هي ذاتها في ثقافات العوالم الأخرى.

.

ومن الجدير بالذكر أن مجموع أعمال وأفعال النبي (ص) كانت منبثقة من أعماق بيئته أكانت سياسية أو اجتماعية. فلنأخذ هجرة المسلمين إلى الحبشة كمثال على ذلك. فعندما تفاقمت واشتدت الاعتداءات والأذى على المسلمين في أواخر السنة الرابعة للنبوة أوجد النبي (ص) حلا لهذا الأمر منبعثا أيضا من الوسط الاجتماعي والسياسي المتواجد آنذاك والذي يكمن في هجرة المسلمين الى الحبشة لأن بها "ملك عادل لا يظلم عنده أحد."

وتبدو فطنة النبي (ص) في خطته هنا ليس فقط بالهجرة لأرض فيها عدل، وهو الشيء الظاهر في هذا الأمر، ولكن تكمن هناك أعماق أخرى في هذه الهجرة الى الحبشة. وهي أن النبي (ص) أوجد بهذه العملية موقعا آخر للدعوة مما يعزز الدين والمسلمين ويضاعف على قريش مشقتها في أمره مما ضعضع قواهم.

فالنظرة البعيدة لرسول الله هذه هي أنه لو أخفقت الدعوة في مكة فلربما تكون الحبشة موقعا آخر لها. أما بالنسبة لقريش فقد عَسَّر عليهم (ص) أمرهم بجعل دعوته خارج مكة وجعلها ذات صبغة عالمية لا قدرة لهم عليها، وذلك ما حصل فعلا. هذا بالإضافة الى أن مبادرة النبي محمد (ص) هذه توحي بأن التعاون مع أهل الكتاب في أمور تخدم الإسلام والمسلمين هي من طبيعة هذا الدين.

وهكذا نجد النبي (ص) في إدارته هذه لم يتوقف فقط عند العادات الاجتماعية بل تعداها للمجالات السياسية التي أحاطت به. فهل تصبح البيئة والمحيط في مثالنا هذا هم السنة أم التخطيط والإدارة؟
فإذا ما وجدنا نبينا (ص) واسع الرؤيا بعيد النظر ذا إدارة حكيمة، أفليس من المفترض إذا أن يكون المسلم واسع الرؤيا مبتكراً لحلول مبنية من واقع محيطه، فيها من الحكمة والعقل ما يجلب النجاح حتى يكون حقا ممن يتبعون سنة نبيه؟ أوليس من الخطأ أن نرى بعض المسلمين اليوم قد أغلقوا أبواب الرؤيا والانفتاح والابتكار واقتصروا الدين على شكليات لا تتعدى في مداها أبعاد القرن السابع في مجمل أحواله؟

حقا ان اتباع السنة الحقيقية للنبي اليوم هي الأسوة بالنبي في الإدارة الحكيمة للأمور الناتجة عن المحيط الراهن للمسلم مستخدما إمكانيات عصره العلمية والتكنلوجية وليس إمكانيات وتكنولوجيا او شكليات القرن السابع، وإلا وقعنا في النكسات وباءت اعمالنا بالفشل والتراجع كما هي عليه الآن.
انه من المناسب جدا الآن تذكير القارئ بتعريف الحكمة لابن القيم الجوزية والتي تعتبر إحدى الزمر وقاعدة من قواعد تعليم النبي (ص) والتي تقول "فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي." ويبدو هذا التعريف للحكمة مؤيدا تماما لما سبق من تعليلنا في استخلاص الموضع الصحيح لسنة رسول الله (ص).

إن من الأمور التي يتمثل بها ما ندعيه أعلاه حول الخطأ في اعتبار بعض الوسائل والعادات سنة من سنن النبي (ص) هو مشكلة المسلمين اليوم في تحديد وقت حلول رمضان ونهايته والطريقة التي اعتمدها النبي صلى الله عليه وسلم آنذاك كما سَنُبَيِنَه أدناه.

تحديد بداية ونهاية الأشهر القمرية

المثال الآخر ذو الدلالة البالغة في توضيح سنة النبي محمد الحقيقية والتي تكمن في الطريقة والإدارة، وليس المحيط والبيئة، هو قضية تحديد شهر رمضان الذي طالما يختلف فيها المسلمون في جميع أنحاء العالم. فلو اطلعنا في الأحاديث النبوية حول هذا الموضوع لوجدنا عدة أحاديث تبين عددا من الأساليب في تحديد التواريخ القمرية. كما أننا نجد أن موضوعية الحديث او المجموعة من الأحاديث تعالج أساليب مختلفة في نوعية التحديد.

وإننا لنجد أن جميع الأساليب والأدلة في هذه الأحاديث غير قاطعة، وهي ببساطة إنما تعكس المعرفة المحدودة لدى المسلمين والجزيرة العربية فيما يتعلق بهذا العلم آنذاك. فمثلاً هناك مجموعة من الأحاديث تتناول عدد الأيام في الشهر القمري. بينما يتكلم غيرها من الأحاديث عن عدد الأيام في مجموعة من الأشهر القمرية، وهناك أحاديث أوضح في بيانها لبداية ونهاية شهر الصوم مشيرة للهلال، "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته". وهذا الحديث يعطي اليقين الأكثر قبولا في هذا الأمر ويبدو أنه أفضل خيار متوفر آنذاك. ولكن لازالت هذه الطريقة غير قاطعة لأن النبي(ص) يتابع قائلاً: "فإن غمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين (أي أتموه لثلاثين يوم)." نجد هذا في روايتي البخاري ومسلم.

إلى جانب هذه الأحاديث فإن النبي(ص) بيّن حقيقة الواقع العلمي في زمنه قائلاً: "نحن أمة أُميّة لا نكتب ولا نحسب" (أي في الدوائر الفلكية للوصول إلى التواريخ القمرية الدقيقة). وهذا هو في الحقيقة ترخيص للمسلمين لاستعمال العلم والحساب. والتقدير هنا أنه إن وجدت المعرفة والحساب فالأجدر بالمسلمين الأخذ بهما في تحديد بداية ونهاية الأشهر القمرية.

ويرجع عدم الجزم في هذا الموضوع لحد ما إلى مدى التعقيدات المتعلقة برؤية الهلال بعد ولادته. فالعلم الحديث اليوم ينص على أن ولادة القمر تَحْدث بالضبط عندما يكون موقع القمر في خط مستقيم بين الشمس والأرض، حيث لا يمكن وجود أي انعكاس لأشعة الشمس عليه أبداً، وعندها يكون صحة تحديد ولادة القمر قريبة حتى الى الدقيقة الواحدة بدون أي خلاف بين علماء الفلك حول ذلك.

كما أن العلم الحديث يبين أن العين المجردة لا تستطيع رؤية الهلال حتى يبلغ من العمر 14 إلى 24 ساعة. كما ويشير الفلكيون إلى أن هنالك صعوبات أخرى تمنع من رؤية الهلال في الفترة الأولى من عمره، منها ضيق الزمن الذي يظهر فيه والذي يمكن ان لا يتجاوز بضع دقائق ومقدار درجة القمر فوق الأفق والمدار الذي هو فيه وشعاع الشمس والغيوم اللذان يحولان دون رؤيته. ويضيف الفلكيون أن بداية شهر رمضان بطريقة مشاهدة الهلال بالعين المجردة تحتمل خطأ قد يصل مقداره الى يومين.

على سبيل المثال لنفترض أن شعاع الشمس حال دون رؤية الهلال الذي كان بالإمكان رؤيته بعد 24 ساعة من ولادته. ففي اليوم التالي وبعد مرور 24 ساعة أخرى على ولادته فقد أصبح من العمر 48 ساعة. حينها يبدو من العمر يومين. وبينما أن الأمر طبيعي جدا، الا أن عدم المعرفة العلمية للناس حول هذه الحقائق يدعو للشك بالفئه المسؤولة في تحديد رؤية القمر ويخلق التشويش والخصام. وفي الحقيقة فإن مثل هذا الأمر ربما حدث

لبعض صحابة رسول الله (ص) الذين شكوا إلى النبي (ص) في أن القمر قد بلغ من العمر يومين فكان جوابه (ص) "أطاله الله للرؤيا" ولم يأمرهم بدفع جزية أو صيام كفارة كبديل للأيام التي فاتت من الشهر.

نقتبس من هذه القصة في شكوى الصحابة حول عمر القمر دلائل ثلاثة:
1) أن النبي (ص) كان يبحث عن شيء أدق لتحديد شهر الصيام ولكن لم يتمكن من ذلك نتيجة عدم تطور علم الفلك في عهده.
2) انتخب النبي (ص) هذا الحل في رؤية الهلال والذي يبدو أنه أفضل الحلول وان لم تكن صحته مئة بالمئة. والتقدير هنا أنه إذا كان الحل لأمر ما لصالح المسلمين فالأولى استخدامه رغم عدم كماله.
3) الأصل في الدين كله السهولة واليسر لا التعقيد والتعسير حتى في العبادات. وإذا ما وضعنا هذه الدلائل الثلاث مجتمعة أفلا تدلي أنه إن وجد العلم الفلكي والحسابي اللذان يؤديان إلى توحيد المسلمين وتيسير أمورهم أن استخدام هذه العلوم للخروج من هذه الأزمة هو من روح الإسلام أو الاسلام بأم عينه؟ أنظر باب صيام شهر رمضان في صحيح مسلم.

لفهم أوسع لموضوع رؤية الهلال نرجو من القراء زيارة المواقع التالية المختصة فقط بعلم رؤيا القمر:
http://www.moonsighting.com و http://www.hilal-sighting.com و
http://www.ummah.net/moonsighting/

لدى الاطلاع على الحقائق المتقدمة المتعلقة برؤية الهلال والدقة المطلوبة والتعقيدات في الرؤيا لتحديد الأشهر القمرية يدرك المرء تماماً لم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب،" وابدى بما نعتقد أنه أفضل وسيلة لديه آنذاك وهي الرؤية بالعين المجردة.

على المسلمين اليوم أن يتذكروا أن إمكانيات وتقنيات جزيرة العرب في القرن السابع لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تجاري إمكانيات وتقنيات القرن الحادي والعشرين. لذلك ينبغي على المسلمين اليوم الأخذ بتقنيات العالم المتقدم لإثبات بداية ونهاية مواسمهم الدينية، عندها تذوب العداوات وانقسامات الأمة حول تحديد الأوقات القمرية. وإن تمكَّنت اليوم الجماعات المسلمة عبر أمريكا أن أن تتحد وتتخذ العلم الحديث لتحديد توقيت الأشهر القمرية، أعتقد أنهم يحرزون نجاحا عظيما وأن العالم الاسلامي بأكمله سوف يتبعهم في هذا الطريق والذي يمثل جوهر هذا الدين. أدعو الله العلي القدير أن يلهمهم اتباع العلم الحديث في هذا الأمر.

يقول الدكتور مزمل صديقي، رئيس المجلس الفقهي لشمال أمريكا، من الواضح تماماً أن مقاربة النبي (ص) كانت قائمة على اختيار أفضل الحلول المتاحة له في عصره. لذلك من أجل الاقتداء بالنبي (ص) علينا أن نقيم الحلول لأمورنا مبنية على أفضل أدوات وتقنيات عصرنا. وإن العمل والمقاربة التي تستخدم العادات المتصلة بالزمان هي العمود الفقري للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهي السنة التي أراد الله منا اتباعها.

للمزيد من الاطلاع على موضوع توقيت رمضان وحكمة النبي (ص) في طريقته في تناول هذه المسألة إقرأ مقالتنا: "حكمة النبي محمد البالغة بخصوص التواريخ القمرية ووحدة المسلمين."

كلنا أمل أن الحقائق البيّنة المتعلقة بتطبيق السنة الحقيقية للنبي محمد (ص) قد فهمت وسوف تطبق في اعمالنا لننطلق جميعا في طريق مستقيم يصل بنا حقا إلى مستقبل أفضل من الازدهار والتقدم.

الفصل الثالث

سنة التثبت

قال الله تعالى:

"أفلا يتدبرون القرآن، أم على قلوب أقفالها." سورة محمد 24/47

إن سنة التثبت هي الاتجاه التحليلي للقيام بعمل ما أو في سبيل حل مشكلة ما. وهي اتباع الطريقة التي سنها نبينا محمد وأصحاب بيته الأكرمون وقاموا بها كسنَّة وطريقة في الحياة، فعندما سُئلت سيدتنا عائشة –زوج النبي صلوات الله عليه عن كيفيّة تدبير النبي لشؤونه، أجابت رضي الله عنها قائلة:

"كان عمله ديمه."

وفي رواية أخرى قالت:

"وكان آل بيت محمد إذا عملوا عملاً أثبتوه."

وكلمة التثبت في اللغة العربية تعبير يستخدم للتقييم الشامل والتحليل مسألة ما قبل أن يتم اتخاذ حكم أو قرار بشأنها – وعليه لا يعطي قاضٍ على سبيل المثال - حكمه في مسألة ما قبل دراستها بشكل مفصل وتام، ومن ثم التحقيق فيها ومعاينتها. ويدعى هذا الأمر في القضاء بالتثبت. والا فعمل المسلم او القاضي ربما لا يكون على المنهج الإسلامي. فمما روى أنس بن مالك عن النبي (ص) أنه قال:

"التأني من الله، والعجلة من الشيطان."

وفي مفهوم حديث آخر: حذّر النبي (ص) من القيام بأي عملٍ دون التثبت من نتائجه، دعنا نقرأ الحديث التالي للنبي (ص)، عن أبي جعفر بن مبسور الهاشمي أن رسول الله (ص) قال:

"إذا عملتم عملاً فتدبروا عاقبة أمره."

وتبين الأقوال الثلاثة السابقة والمفعمة بحكمة الرسول (ص) بأن سنة التثبت تعد سنة أساسيّة لكل مؤمن حق. وينبغي على المسلمين ألا يستهينوا بالقيمة الكامنة التي تبعثها تلك السنة الكريمة لوضع لبنات البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي للأمة الإسلاميّة.

قال الله تعالى:

"تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور". سورة الملك 67/1-2

وبحمد الله، إن هذا الكتاب هو مجرد انعكاس لهذه السنة الثمينة، التثبت، والتي ينبغي على كافة المسلمين الإفادة منها وذلك لحل الأزمة التي نواجهها في وقتنا الراهن.

الفصل الرابع

سنن منسية للحياة الاجتماعية والصالح العام الإسلامي

إن الله تعالى خلق السماوات والأرض وطوعها للإنسان لإعمارها. وأرسل الله تعالى أنبياء يحملون للإنسان هداه والسنن والقوانين التي يبني عليها حياته نحو كل هدف أسمى. اللامبالاة والعبثية ليستا من أخلاق المسلم أو الدين. المسلم الذي لا يبالي ولا يرى قانونا، لا يرى للأشياء والاحداث معنى. أما الطريقة العبثية في فهم الأشياء بأن الله غالب، وان هذا ما يريده الله وأنه قدر الله، وينسب كل شيء للغيب، بهذا عطل سنة الله تعالى في العمل والسعي.

"بهذا الفهم وهذه الطريقة يستوي المسيء والمحسن، والمصلح والمفسد، والجميل والقبيح، والعالم والجاهل، هذا الاعتقاد ليس قضاء الله وإرادته، لأنه بهذا الفهم يستوي كل شيء." عدنان ابراهيم

لقد فهم الكثير من المسلمين انه على الأمور ان لا تخضع للقوانين الإلهية وأنهم غير مسؤلين عما يجري في الحياة. ولكن الحقيقة أن هناك سنناً عديدة ضرورية لنجاح المسلمين وتطييب حياتهم وذلك على المستويين الفردي والجمعي. ولسوء الأمر، هذه السنن غدت إلى حد كبير غير معروفة أو أنها نسخت من نطاق الاستخدام العملي والنظري لدى المسلم.

تمثل هذه السنن الوسائل والحيز الأكبر نفعاً لبناء الحياة. وسنتحدث بالتفصيل عن سنة تهييئ المسلم لمهمته في الحياة وسنة التثبت وسنة تجنب وقوع الفشل للمرة الثانية، وسنة التأهيل وسنة البناء على أرضية مشتركة لتقليص مدى العداء، وسنة هضم وابتلاع التهديد والوعيد لتفادي وقوع المآسي الكبرى، وسنة منع نشوب الحروب وسفك الدماء. وإننا سنتدارس أيضاً سنن الأولويات، وسنة الاعتماد على النفس والمسؤولية، وسنة المعولات والنوعية بدلاً من الكمية، وضبط المواعيد، وسنة الاستمرارية والاستقرار، وسنة التحقق من الأنباء والأخبار، ومعاملة مفكري المسلمين المعاملة الحقة، وسنة الاتجاه التدريجي وتطبيقه في الدعوة، وسنة المتطلبات الأساسية، وسنة الرشد أو النضج.

ا - تهييئ المسلم لمهمته في الحياة:

تأهيل المسلم ليكن حذقاً وماهراً في عمله هو من السنن الاجتماعية غير معروفة عند المسلمين. وإن إحياءها ضروري جدا لإنشاء الأعمال والنجاح فيها. لكن، لماذا لم تشتهر هذه السنة في أرض الإسلام؟

لقد تعلم المسلمون إن غسيل الايدي والوجه سنة في الوضوء. الا انهم لم يتعلموا أن الرحلات المتكررة التي قام بها النبي صلوات الله عليه لغار حراء ولمدة اربع او خمس سنوات كانت معدة لتهيئة نفسه لنزول الوحي عليه في مهمة النبوة.

فحتى يتمكن رسول الله من تلقي الوحي والرسالة - "سنلقي عليك قولا ثقيلا" - ألهمه الله تعالى للخروج الى جبل النور لعدد من السنوات لما في هذا الخروج من التفكر والتأمل في خلق الله حتى يتجلى الله تعالى عليه، ويكون قريبا من الله بروحه وقلبه وعقله. عندها ربما يكون مهيئا لتلقي كلمات الله ونزول جبريل عليه.

وعلى نحو مماثل، في سورة المزمل، نجد أن الله تعالى أمر النبي صلوات الله عليه بقيام معظم الليل في الصلاة، والتي ما هي إلا لذكر الله تعالى. والهدف من هذا القيام هو تهيئة النبي (ص) لصمود جاد وقاسٍ، لأن الله تعالى سيلقي عليه عبئاً كبيراً. انظر في سورة المزمل.

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا." سورة المزمل 1-6

إن سنة تأهيل المسلم لمهمة معينة قد نسيها معظم مسلمي اليوم. فمن البديهي إذاً أن معظم أعمالنا تنتهي بالفشل والإخفاق. فعلى المسلم الحقيقي أن يتدرب ويتعلم قوام الأمور المقبل عليها. وأيضا، لا يتولى عملا أو منصبا ليس مؤهلا له. ولقد حذرنا النبي صلوات الله عليه من تعيين الناس حيث يجب ألا يتعينوا. فعن ابن عباس أن النبي (ص) قال:

"من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه خان الله ورسوله." رواه الحاكم في الأحكام

ما الذي جعل المسلمين يؤلفون المجلدات حول كيفية الوضوء والذي ما هو إلا حركات عضوية بسيطة، ولكنهم نسوا سنة فيها المديد من قوام الأمة ونجاحها؟

ب - البناء على المشتركات وتغيير المرء من عدو الى صديق:

البناء على المشتركات وتغيير المرء من عدو إلى صديق، هي سنة أخرى من السنن الحكيمة والتي لا نجد لها أثرا جديا في حياة المسلم. ولو اطلعنا على سيرة رسول الله لوجدنا أن قوام عمله كان من الحكمة. حيث أن هدفه في التعامل مع أعدائه هو تحقيق النتائج المثمرة وتغيير وتصحيح ما في قلوبهم. كان النبي يحقق هذا الهدف عن طريق عادات وتقاليد مجتمعه، وبدون حرب وعنف. مثلاً، قد تزوج من الأرملة ام حبيبة ابنة ألد أعدائه أبي سفيان ليمحو ويهدم عداوة ابيها له وللإسلام.

ومما يجب معرفته هنا هو أن أم حبيبة كانت في الحبشة والتي هاجرت إليها مع زوجها عبد الله بن جحش. ولما توفي زوجها، أرسل النبي (ص) رسولا إلى الحبشة حاملا طلبه بالزواج منها. ما الذي حمل محمدا أن يطلب الزواج من أرملة تسكن في الحبشة، تبعد عنه ما يقارب آلاف الاميال؟ أليس هناك نساء في الجزيرة العربية؟ أفضل جواب هو ذلك الذي خرج من فم أبيها أبي سفيان لما قال:

"هو الفحل لا يُجدع أنفه."

"قالها أبو سفيان وهو مازال كافراً في حق رسول الله؛ عندما عيره كفار مكة بأن رسول الله تزوج ابنته دون علمه. فوقف بينهم مرفوع الرأس وكله عزة وشرف قائلا: أتعيروني بمحمد. محمد هو الفحل لا يجدع أنفه. وكان عادة العرب قديما أنه إذا جاء فحل أي جمل هزيل ينزو على ناقة ضربوه على أنفه حتى لا ينزو عليها لأن سلالته ستكون هزيلة مثله، وإذا جاء فحل قوي تركوه." الشيخ إسلام النواوي

وكأن لسان حاله يقول، إن محمدا شرف كل شرف وزينة كل جمال. وهكذا كسر رسول الله شوكة عداوة أبى سفيان إذ أوجد رابطة دموية مع إبنته، وله أي لمحمد، كما فى العادات القبلية، شرف الحماية من قبيلة أبي سفيان بن حرب، بنو عبد شمس. مماثل لهذا الزواج، زواجه صلوات الله عليه من ماريا، من نصارى مصر وصفية بنت حيي بن أخطب اليهودي الذي ألب القبائل العربية وقريش لمحاربة المسلمين في موقعة الخندق.

دراسة دقيقة لزواج النبي محمد لعدد من النساء تشير إلى حكمته البالغة في تغيير العداوة في قلوب أعدائه إلى محايدين ان لم تكن إلى صداقة. تأويلاً لحكمة النبى (ص) فى البناء على المشتركات واستخدام العادات القبلية للانتصار للدين كان رحمه الله الشيخ أحمد كفتارو يقول:

"إن محمد صلوات الله وسلامه عليه وحد الأمة العربية بالأعراس."

ومن ضمن البناء على المشتركات ما رواه ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ أن عدة قبائل عربية ومن بينهم قبيلة بني هاشم والتي تضم عائلة النبي بني عبد مناف، قبل الإسلام قد اجتمعوا وشكلوا حلف الفضول لمساعدة المظلوم وإقامة العدل في مكة وما حولها من قبائل وقرى. يقول ابن إسحاق إن رسول الله (ص) قال:
"لقد شهدت مع عمومتي حلفا بدار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت."

وهكذا نجد رسول الله (ص) ينشئ من عادات وتقاليد القوم طقوسا جديدة أو يشارك قومه في عملهم الجماعي لما فيه بناء وخير للمجتمع، إن كان هؤلاء الناس من دينه وعلى ملته أو غير ذلك.

وبلسان آخر، سنة نبي الله محمد (ص) تدلي أنه إن لم تكن هناك طقوس ومشتركات لتبني عليها تقرب الناس من بعضها البعض في الخير ولأجله، يجب على المسلم أن يخترع طقوسا أو عادات اجتماعية جديدة بحيث يجتمع الناس عليها لخدمة البشر والإنسانية.

ت- مرونة النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة منهاجه وعمله:
من خلال دراسة أعمال النبي صلوات الله عليه فإننا نجده ذا الرأي الصائب والمرونة والاتزان في كل معاملاته. فمثلا عند عودة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، حزينا مكسور الخاطر، من الطائف التي لم تستجب لدعوته ولم تحقق له ما كان يصبو إليه، لم يبق له خيار إلا العودة إلى مكة. فماذا فعل صلى الله عليه وسلم وهو في هذه الحالة من المعاناة والألم وتوقع شماتة قريش؟

لقد كان يعلم أنه لا يستطيع دخول مكة إلا تحت حماية احدى قبائلها وإلا سيعرض نفسه للخطر. لهذا أرسل خادمه زيد بن حارثة ليبحث له عمن يكون تحت حمايته إذ يدخل مكة. استجاب لزيد المطعم بن عدي، وهو أحد المشركين. وهكذا دخل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة والمطعم وأبناؤه يحيطون برسول الله صلى الله عليه وسلم. وطاف الجمع برسول الله حول الكعبة معلنون لقريش أن محمداً صلى الله عليه وسلم تحت حمايتهم!

بقي الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات وهو في حماية المطعم. وفي هذا الوقت ونتيجة للتطورات بعد الطائف نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعد ليجابه قريشاً كما كان من قبل أو يتحدث بالسوء عن أصنامها وعن عبادتها المنحرفة لهذه الأصنام. لكنه صلى الله عليه وسلم أكثر من مقابلة زوار الحرم من غير أهله ليدعوهم إلى الإسلام.

هذا التغيير في سلوكه صلى الله عليه وسلم لا يعني أنه رضي بالأصنام ولا أنه راض عن عبادة قريش للأصنام، لكن الحقيقة أن الحكمة في الوضع الحالي تقتضي أن يتخذ الليونة والاتزان وعدم المجابهة طريقاً جديدا. فهناك دوما طرق مختلفة لمعالجة أي أمر. الحكيم هو من يختار من تلك الطرق ما يناسب الظرف والزمان والمكان والحصيلة المنعكسة على الأمر الواقع من تلك الطرق.

صحيح أن الطريق الذي سلكه صلى الله عليه وسلم يدل على ليونة ومرونة مع قريش، ولكنه في الحقيقة خدم شيئاً أثمن وأكبر وهدفاً أعمق. وهو توفير الأمان للنبي صلى الله عليه وسلم. ففي حماية النبي حماية للإسلام نفسه، لأن نجاح الإسلام في ذلك الوقت بالذات كان مرهوناً بسلامة شخصه صلى الله عليه وسلم.

السلامة والأمان لقلب الأمر والدعوة هو أكثر أهمية من قضايا أقل أهمية ويمكن علاجها في وقت آخر. وهذا ما حصل تماماً، فبعد عدد قليل من السنين دخلت قريش كلها في الإسلام وتطهير المسجد الحرام من تلك الأصنام التي كانت تعبدها قريش وغيرهم من القبائل العربية.

في هذا المثال معادلة الحكمة في قاعدة الأسباب ومسبباتها بدت جلية على أرض الواقع. فاستخدام الليونة في معاملة قريش جاءت كنتيجة لإخفاق رحلة الطائف، وهذا التغيير إلى الليونة أدى إلى نتيجة جديدة وكانت للأفضل.

ث- تحمل الهوان لتفادي الفواجع والفشل:

الصبر على الهوان من أجل تفادي البلاء والكوارث هو مما سنه النبي صلوات الله وسلامه عليه، كما في قبوله شروط صلح الحديبية. المجرمون والجناة غالبا ما يتخذون المكيدة في العبارات الاستفزازية والوعيد لإيقاع غريمهم في فخوخ الهزيمة. مثلا لو ان الرئيس الراحل صدام حسين، في عام 1993 لم يتفاعل بالحمية العربية، نتيجة لاستفزاز الرئيس الأمريكي له، على الهواء ومسامع العالم أجمع، ليخرج من الكويت بمدة اقصاها ثلاثة أشهر، ستاتي القوات الأمريكية لتخرجه من الكويت بالقوة وتحتل العراق. لو أن صدام حسين تحمل هوان التحدي وخرج من الكويت لكان ذلك أكبر هزيمة لأمريكا في تاريخها الحديث.

بعدم خروجه من الكويت، لأقل الإحتمالات، لم يكن ليترك سببا ظاهرا لأمريكا لمهاجمة العراق وتدميرها وتدمير تقنياتها وقتل علمائها واهلها وسلب ثرواتها البترولية وغيرها. ما الذي أبعد المسلمين عن هذه السنة الربانية الحكيمة وأمثالها؟

ج - سنة المتطلبات الأساسية والرشد والنضوج:

لسنة التدرج علاقة وثيقة مع سنة النضوج إذ يعدّ نضوج الإيمان والاستراتيجية العسكرية والسياسية مطالب أساسية للخطوة التالية.

عند النظر إلى الآيات من سورة المزمل نتعلم أن التدريب المكثف واجب في حين ولكنه غير واجب في حين آخر. فبعد نزول الوحي، وخلال السنة الأولى لولادة الإسلام، أمر الله سبحانه وتعالى النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بقيام الليل. وبموجب هذا الأمر الإلهي كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يؤدون بشكل دائم ومكثف صلاة قيام الليل، حتى رفع الله عنهم ذلك الفرض بإنزال وحي آخر ينسخ هذا الأمر ويعده غير إلزامي.

أخرج أحمد ومسلم عن سعد بن هشام، قال: قلت لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله، قالت: ألست تقرأ هذه السورة ـ يا أيها المزمل ـ قلت: بلى؛ قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام رسول الله وأصحابه حولاً. ثم انتفخت أقدامهم. وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً. ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فرض.

دعونا الآن نقرأ ونتفحص بعضاً من هذه الآيات من هذه السورة من أجل تحديد هدف التركيز على صلاة قيام الليل:

قال الله تعالى:

"يا أيها المزمل، قم الليل إلا قليلا، نصفه أو انقص منه قليلا، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا، إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا، إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا." سورة المزمل الآيات 1-6

فالواضح من هذه الآيات المذكورة أن مهمة ثقيلة ورئيسة قد أنيط بها كاهل النبي صلى الله عليه وسلم ألا وهي تلقي الرسالة المنزلة من الله سبحانه وتعالى. وبأن قيام الليل هو المصدر والذي يتسنى لإيماننا أن يستمد منه القوة للمهمة الثقيلة.

إن الهدف الأكبر لقيام الليل قد ورد في الآية الخامسة: (إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا.) وفي الواقع فإن قيام الليل هو أكثر تأثيراً وفاعلية للتحكم بالروح ولصياغة عبارات الصلاة. وهكذا فإن عمق الإيمان أصبح مطلباً أساسياً في هذه الحالة، بدء الدعوة.
وفي نهاية السورة يتنزل الوحي وقد خفف من التركيز على قيام الليل على نحو جميل في الآية:

(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنْ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. سورة المزمل الآية 20.

ويمكن للمرء أن يستنتج ببساطة من الدراسة التفصيلية لهذه السُنّة الرائعة بأن الإيمان بكماله وعظمته مطلب أساسي من أجل مواقف أكثر خطورة، وأن على المرء أن يتعامل مع مسألة ما حسب ظروفها، حتى ولو كان الموضوع في كل حين هو نفسه كما هو الحال هنا (قيام الليل) .فمن المعلوم أنه في أي مغامرة جديدة فإن من الضروري مضاعفة الإعداد والتهيؤ الجيد. ولكن عندما تصبح الحالة أفضل، حيث يتم تطور الإيمان، وتقل فرص الفشل، يمكن أن تخفف المبذولات الأولية.

وقد رأينا في الآيات السابقة أن الصلاة كانت تتواصل معظم الليل وطوله في بداية الأمر. وقد سبب هذا التواصل زيادة في الإيمان وارتباطاً أكبر مع الله عز وجل الذي كانت الحاجة إليه جلية. وكان من شأن قيام الليل وخاصة في الأوقات المبكرة لظهور الإسلام أن يكون مواساة للمسلمين وتثبيتاً وتلبية.
ثم نرى بعدها أن الله سبحانه وتعالى قد خفف أمره وذلك كان بعد سنة، ففي غضون تلك السنة، ودون شك، كان هناك زيادة في الإيمان في قلوب المسلمين بحيث استطاعوا تجاوز عتبة الخطر.
وهكذا فإن التربية والانضباط النابعين من الإيمان العميق مطلب أساسي للعديد من المهام بسيطة كانت أم معقدة بما فيها الجهاد، وارتداء الحجاب وتطبيق تفاصيل الأحكام الشرعية المتنوعة والمختلفة للدين الإسلامي وفروعه الفقهية.

وبنفس الطريقة فإن هذه السنة تنطبق على المضمار السياسي. فالتهيؤ والاستعداد وتوخّي الظروف الملائمة مطلب أساسي في سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولهذا فلا ينبغي على المسلمين المضي إلى الحرب قدماً عندما يكونون ضعافاً في إيمانهم أو استعدادهم وهم بالتالي لا يمكنهم توقع نصر مثمر ولا إنجازات ملموسة.

ألم نعلم أن دعوة الله لنبذ قريش لم تأت إلا بعد أن قام النبي صلى الله عليه وسلم بتأسيس معقل قوي له في المدينة المنورة، وذلك بالتعاهد مع كل من اليهود والقبائل العربية الأخرى ممن حوله.
ويشير تاريخ ظهور الإسلام إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل في حرب قط ما لم يكن مطمئناً أنه على قدم وساق مع عدوه، أو لم يكن أقل استعداداً لها.
حتى إنه بالنسبة لمعركة بدر، والتي فرضت على المسلمين، فقد أظهر النبي صلى الله عليه وسلم أقصى الاستراتيجيات ودقة الانضباط المواتية للظروف الخاصة لتلك المعركة.
إن الاستراتيجيات السياسية والشؤون الحربية جزء لا يتجزأ من حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وإن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في نضوج الأمور هي نموذج جميل وعبرة يجب علينا أن نحذو حذوها ونقتفي آثارها لتحقيق سعادة ومصلحة المسلمين.

ح ـ سنة التدرج (الاتجاه المتدرج في التعليم والدعوة):
تعني الكلمة العربية «تدرج» تطبيق أو القيام بالأعمال بشكل متدرج.
إن التدرج هو العمل المرتبط بالأرضية الإسلامية الأساسية في التربية (التعليم والانضباط) وفي الدعوة والأعمال الحياتية. وعلى نحو صارم في تطبيق مبادئ الحكمة التي تم مناقشتها سابقاً. وقد أمر الله أن يتم نشر الدعوة بالحكمة. قال الله تعالى:

"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن."
سورة النحل جزء من الآية 125

وتؤكد الحكمة بأنه يجب تداول القضايا في أوقات معينة بالطريقة المناسبة والمكان المناسب ففي موضوع الدعوة على سبيل المثال، يجب مخاطبة الشخص الذي ندعوه للإسلام بشكل جميل ومنطقي وعلى مستوى فهمه. ويجب تفادي المواضيع ذات المدلولات السلبية التي تُشجع الاختلافات، بينما يجب استخدام المواضيع المشتركة بين الداعي والمدعو والتي تسمح بإقامة علاقات أفضل.

ويجب أن يضع المسلم دوماً في اعتباره بأن تكون استراتيجيته ليست لربح المعركة الحالية، بل ربح الحرب او الخطة بأكملها. أما صفات المسلم الحق الذي يدعو الناس إلى الإسلام فعليه أن يكون ذا هيبة، وسهل التعامل، وحاسماً، ومتواضعاً، ومترو‌ياً وبقلب مفعم بحب الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم. وأن يتحلى بنظرة ثاقبة تتعدى حدود دائرته.

ويمكن للمرء أن يتعلم دروساً كثيرة من خلال مولد الإسلام، ومن الطريقة التي تم فيها تقديمه للناس. فعلى سبيل المثال: الإسلام يحرم شرب الكحول، والله لم يبدأ تعاليم الإسلام بتحريم الخمر. وفي واقع الأمر فقد جاء تحريم شرب الكحول على ثلاث مراحل وكان آخرها بعد عدة سنوات من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة.

كان السبب المباشر لنزول آية تحريم في سورة المائدة هو تسويق الخمر من قبل قبيلتين من الأنصار.
فإذا ما تم معالجة قضية ما تدريجياً من قبل الله سبحانه وتعالى، فلماذا نتعجل نحن بتقديم الإسلام على أنه دين تحريم الكحول ونتوقع من الناس الإقلاع عن الكحول في نفس الوقت الذي نعرض عليهم الدخول في الإسلام. وهناك قضايا مشابهة. فبنفس الطريقة شرع الله الخمار والصيام، فكل واحد منهما جاء بعد سنين من بداية الدعوة للإسلام.

فالإسلام دين نظام يبين أحكام القضايا التي ينبغي مراعاتها ومن ثم تطبيقها في الوقت المناسب وفي المكان المناسب وبالطريقة المناسبة. حيث إن تطبيق النظم الإسلامية في وقت غير ملائم وبطريقة غير مناسبة ينتج عنهما إسلام غير متوازن. وبقدر ما نغفل الانتباه عن السياسات الحكيمة التي نتعلمها من شرع الله سبحانه وتعالى، فإننا وبالتالي سنستمر بالفشل في ميادين التربية والمدارس وكذلك الدعوة أيضاً.
إننا لا نتوقع من الطفل أن يركض قبل أن يكون بمقدوره المشي، كما أننا لا نتوقع الصعود إلى قمة السلم دون وضع أقدامنا على الدرجات السفلية أولاً.

خ ـ سنة التوثيق والتعويل والاعتماد:
فصّل النبي صلى الله عليه وسلم بوضوح سنة قيّمة، والتي من خلالها تضع مبادئ التوثيق والتعويل التي بنى النبي صلى الله عليه وسلم عليها أعماله. مثلاً: بعد هجرته إلى المدينة المنورة كان من أوائل أعماله بناء مسجده صلى الله عليه وسلم.

لقد كان جزء من الأرض التي بُني عليها المسجد أرضاً عامة بينما كان الجزء الآخر مقبرة والجزء الثالث كان يخص عائلة بني النجار وهي عائلة جديدة العهد بالإسلام وسأل النبي صلى الله عليه وسلم العائلة عما تريده ثمناً لأرضهم قائلا: «كم تريدون ثمناً لحديقتكم؟» فأجابوا إننا (لا نطلب ثمناً لها،) ولكن النبي صلى الله عليه وسلم فاوضهم على السعر وطلب من صاحبه أبي بكر أن يدفع لهم عشرة دنانير.

يُبين هذا الحديث بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ممتنعاً عن أخذ الأرض حتى ولو كانت بدون مقابل من عائلة قد اعتنقت الإسلام حديثاً، فربما يتطلب عمل من هذا النوع إيماناً أكثر تطوراً. فمنح الرسول أرضاً بدون مقابل قد يساء فهمه وعلى سبيل المثال فقد يكون بعض أعضاء العائلة أو القبيلة غير راضين عن فقدهم للأرض. وهناك احتمال آخر، قد يجلب الإساءة للإسلام، وهو أن المنافقين قد ينشرون الأخبار بأن النبي صلى الله عليه وسلم يلعب بعقول أتباعه ويغصِب منهم أرضهم. وهناك سببٌ آخر وهو أن هذه العائلة قد تصبح موضع تقديس وخصوصية عندما يقدمون أرضهم دون مقابل ومما لا شك فيه أن فتح هذا الباب فيه الكثير من السلبيات مما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

إن دراسة مدى وثاق عمل المسلم أو الاعتماد على شخص ما، يجب أن يسبق اتخاذ أي قرار، إن إصرار النبي صلى الله عليه وسلم على شراء الأرض بدلاً من قبولها كعطية من عائلة حديثة العهد بالإسلام هو سنة تعويلية في مدى نجاح العمل. وقد جرى تعليمها لأصحابه بنفس الطريقة التي تعلموا فيها الوضوء وأداء الفرائض.

وإنني أحب أن أُعلم القارئ أن عدد مهندسي الاختصاص بالتعويل بمجالات الصناعة الفضائية في الغرب ربما يصل إلى ربع عدد عموم المهندسين في هذه الصناعة.

د ـ سنة الاستقرار والثبات (الديمة)

وهناك سنة أخرى وثيقة الصلة بسنة دقة ضبط المواعيد، ألا وهي سنة الديمة (الاستقرار والاستمرارية). إن المثابرة والثبات أساس العديد من التعهدات الناجحة. كما أن استقرار المؤشرات الاقتصادية والسياسية هي المرشد والضوء الأخضر للإقدام على الصفقات التجارية والمشاريع العمرانية والصناعية .ومن المعلوم احتمال الاخفاق في المجازفات الاستثمارية في أي بلد ما لم تتوفر حكومة مستقرة فيه. وبنفس الطريقة، فإن المرء يتوقع ربحاً ونجاحاً محدودين وغير فعالين لأية مؤسسة أو شركة، بدون نظام تشغيل مستقر ومنسجم.

أما سنة الديمومة هذه فتدعو إلى الاستمرار والمثابرة، حتى ولو باستخدام الوسائل المحدودة والمصادر والجهود القليلة. ولقد وضح النبي صلى الله عليه وسلم هذه السنة عندما قال:

"ألا إن أحب الأعمال إلى الله، ما دووم عليه وإن قل." رواه مسلم.

ذ- أسلوبه (ص) في مخاطبة الناس:

هناك أمثلة كثيرة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم تشير إلى استخدامه معالم الحكمة عند مخاطبة الناس وأيضا في استخدام قاعدة الأسباب ومسبباتها. فعند رجوعه من الاسراء والمعراج حَدَّثَ المشركين من أهل مكة عن إسرائه الى القدس فقط، بينما حدَّث الصحابة عن الإسراء والمعراج معا.

فالحكمة في معرفة بواطن الأمور منعت النبي (ص) أن يحدث قريشاً عن عروجه الى السماء، حيث انهم استهزؤا برسول الله ولم يتقبلوا نبأ الإسراء رغم وصفه قافلة لهم قادمة من الشام وصفا دقيقا. فلا ضرورة بأن يحدثهم عن المعراج. ثم إن حديثه لأصحابه عن الاسراء والمعراج معا فيه جدوى لما فيهما من الخبر

في لقائه بالأنبياء والتشريع الجديد في الصلاة المكتوبة. وكأن لسان حاله (ص) يقول، عندما تكون المعلومة لا تصلح لمكان ما أو ظرف ما، وليس لها دور آنيٌ يخدم القضية فلا حاجة أو ضرورة لطرحها. الانى في هذه الحالة فيه من السكينة وقطع الجدل ما شاء الله وامن لكل الأطراف.

ر ـ سنة النوعية في مقابل الكمية:

وهناك سنة اجتماعية إسلامية أخرى ألا وهي اعتبار النوعية على أنها هي ذات الشأن والأهمية لا الكمية، قال الله تعالى:

(قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ. سورة البقرة الآية 249

فالآية تتحدث عن فئة قليلة من المؤمنين الذين انتصروا على فئة أخرى تفوقهم عَدداً وعُدداً من الأعداء. وبعد تحقيق نصرهم ذاك أدركوا أن الله سبحانه وتعالى قد منحهم ذلك النصر بسبب إيمانهم القوي به وبسبب صبرهم وإصرارهم. وهكذا وجب على المسلم أن يهتم بجودة ومستوى صلاح العمل وليس الكمية، ويحقق النجاح من خلال الصبر والتخطيط والعمل الجاد وليس من خلال عدم تحمل المسؤولية والأعمال العشوائية غير المتقنة.

إن إنتاج الكم الهائل من البضاعة أو الصناعات بشكل غير لائق أو مناسب سوف يجلب زبائن أقل رضاً عنها وذلك مقارنة بإنتاج بضاعة أقل كمية، ولكن بنوعية ممتازة. ولنتدبر قوله تعالى في سورة الأنفال:

((إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا)) سورة الأنفال جزء من الآية 65

من الواضح في هذه الآية الكريمة أنه يتم تقييم الناس على أساس النوعية وليس الكمية. وبأنه ينبغي على المسلمين الكفاح والعمل لتحسين إيمانهم وعلمهم، وأنظمتهم التكنولوجية والصناعية والاقتصادية حتى يكون مقياسهم في ميزان التقييم عالياً سامياً.

ز ـ سنة ضبط المواعيد والوفاء بالعهود والوعود:

تفشل العديد من المشاريع والبرامج الإسلامية بسبب النكوث بالعهود وقلة الالتزام بضبط المواعيد، وعليه فإنه غالباً ما ينقلب التفاؤل بالبرامج التي تضعها المدارس الإسلامية، وخاصة الجديد منها، إلى برامج مخيبة للآمال.

فالحضور غير المنسجم والفشل في الوفاء بالمواعيد هي من الأسباب الرئيسية لتدهور هذه البرامج أو المدارس. فالإسلام يعطي الخطوط الرئيسية للحماية ضد هذه الأمراض والآفات. ونقرأ في القرآن الكريم شرحاً لأحوال المؤمنين في قوله تعالى:

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) سورة المؤمنون الآيات (1-8)

ونلاحظ أيضاً تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من عدم الوفاء بالمواعيد. فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان.»

وهكذا فإنه من السنة الوفاء والدقة بالمواعيد والتي يجب دوماً مراعاتها وتطبيقها وذلك لضمان النجاح في ميادين التعليم إضافة إلى النشاطات الاجتماعية والشخصية الأخرى.

س- سنة التحقق من مصادر الخبر (التَبَيُّن):

يدعو الإسلام للتحقق والتمحيص في صحة أي خبر من الأخبار، وخاصة السيئة منها، وذلك قبل التفاعل معها. ومن جهة أخرى، فإن البهتان هو نشر الأخبار السيئة للآخرين بدون التيقن منها. ولهذه القاعدة الذهبية العديد من التأثيرات الإيجابية على المجتمع، منها ما يلي:

أولاً: مواجهة المفتري بجرمه يمنعه من الاستمرار.

والثاني: المواجهة والتبيان تقلل من فرص إساءة فهم الأخبار من مصدرها. فإن عدم مواجهة مصدر الخبر سوف يشجع الشخص لفعل ذلك العمل مرة أخرى، ذلك لأنه لم يجد من يحاسبه في المرة الأولى.

إن إسقاط هذه القاعدة من قبل العديد من المسلمين، هو سبب في ظهور العديد من التصدعات في نسيج المجتمعات الإسلامية.

والله، في حكمته الإلهية، يحذرنا من الإقدام على عمل قبل التحقق فيه نتيجة لعواقبه الوخيمة. قال الله تعالى:

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ.)
سورة الحجرات الآية 6

وهكذا فيجب على المسلم تطبيق وممارسة سنة التحقق والتَبَيُن من الأخبار بكل وعي وإدراك. فلماذا لا يُقَدّر ويطبق المسلمون هذه السنة التي تعتبر عنصراً جوهرياً من عناصر وحدتهم؟

ش -سنة الأولويات:

من المنطلق الإسلامي فإنه يجب أن تتم موازنة كافة القضايا المتعلقة بقضية ما، مع اعتبار كافة الاحتمالات التي تحيط بتلك المسألة، بالإضافة إلى تحديد الأولويات.

إن تحديد الأولويات هي سنة أخرى من ضمن السنن المفقودة أو المنسية لدى المسلمين اليوم، وإننا لنجد في كتاب الله سبحانه وتعالى تطبيقاً عملياً لهذه السنة فلننظر في هذا المثال:

عندما كان المسلمون في طريقهم إلى معركة أحد، تركت مجموعة من المنافقين النبي صلى الله عليه وسلم ورجاله وعادوا أدراجهم. وقد أرادت هذه المجموعة مبدئياً البقاء في المدينة لمقابلة جيش قريش الذي جاء ليثأر لقتلاه الذين قضوا في معركة بدر منذ سنة خلت.

إن عصيان المنافقين وانسحابهم من جيش المسلمين كاد يخلق صدعاً بين المسلمين، وبينما كان ذلك يحدث، جاءت هداية الله سبحانه وتعالى بوحي جديد يبين سنة اجتماعية مهمة ألا وهي: سنة اتخاذ الأولويات. دعونا نقرأ ونتمعن في معنى الآية الكريمة التالية:

(فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا.) سورة النساء جزء من الآية 88

هذا إنكار من الله تعالى للمؤمنين في تفريطهم بما يجب أن يركزوا عليه وهو لقاء العدو. فتشير هذه الآية الكريمة إلى أهمية ترتيب الأولويات في شؤوننا وذلك بحسب أهميتها. والاولوية الاهم عندئذ هو النصر في المعركة التي كانوا على وشك أن يشتبكون مع عدوهم فيها. إضافة إلى ذلك، ففي مثل هذه الأوقات الحرجة والعصيبة، الأولى هو التماسك وتوحيد الصفوف. وألا يُسمح لأي شيء أن يزيغ أو يقلل من الروح المعنوية

للجنود. وعليه فموضوع ارتداد المنافقين يمكن مناقشتها فيما بعد لِما فيها من تشتيت على التركيز على المعركة التي تنتظرهم والتي يجب أن تعطى الأولوية على أي أمر آخر.

ص- سنة الاهتمام والعناية بعلماء المسلمين ودعمهم:

إن علماء المسلمين العاملين هم: أولئك العلماء الذين يقومون بالوفاء لدور النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بتوفير الثوابت الأساسية الثلاث: التعليم القرآني والتزكية والحكمة. إن العالم العامل الحق هو من يستطيع أن يُخَرّج رجالاً ونساءً مؤمنين وبقلوب نقية طاهرة وبمعرفة في عقولهم تؤدي بهم إلى النجاح والتوفيق والسعادة. إن الناس من ذوي المعرفة بالإسلام الحق ينبغي احترامهم وتشريفهم. وقد منح القرآن الكريم للعلماء مزية خاصة ومراتب عليا. قال الله تعالى:

يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات. سورة المجادلة جزء من الآية 11

ويبين الله تعالى بأنه من أجل توفيق ونجاح الأمة، فإنه ينبغي اتباع علمائها. وعلى العكس من ذلك، فإنه عندما تتخلى الأمة عن علمائها وتكذبهم، فإنه يُحكم على هذه الأمة بالهلاك.

وعندما يقوم ذوو الأمر بالإيعاز للعالم عما يعمله وماذا يفعله، فإن المرء لا يستطيع أن يرى أي حياة مثمرة. إن قمع العلماء وعدم تأهيلهم لقيادة شعوبهم، وعدم الأخذ بنصائحهم، وتحميلهم أعباء كثيرة أو مهاجمتهم وإذلالهم إنما هي جرائم ترتكبها الأمة بحق نفسها.

فإلى أين ذهب العالم الغربي وإلى أين أتجه عندما واجه مقاطعة النفط العربي عام 1973 أثناء الحرب العربية الإسرائيلية؟ فلم يتم فقط استشارة بروفيسورات الجامعات في الطاقة والاقتصاد والهندسة إضافة إلى منشوراتهم من أجل الوصول إلى حل، ولكن كان هناك أيضاً فيض من المقابلات على شاشات التلفاز تقدم الخبراء والمستثمرين الذين اقترحوا مصادر نفط بديلة للطاقة.

ولقد كان تزايد وتنوع إعداد البرامج التي قدمتها الإذاعات ووسائل الإعلام مع الخبراء والعاملين شيئاً مدهشاً فاق حدود التصور! أما المسلمون فإن تفاعلهم مع الأحداث التي تقع لا تزيد في أحيان كثيرة عن رفع الأيدي سائلين الله عز وجل المساعدة دون القيام بما هو مطلوب منهم!!

إن مبلغ المال الذي يتقاضاه العالم لقاء عمله هو من أبرز المؤشرات على القيمة التي تضعها أمة متقدمة مكافأة لعلمائها. فـهنري كيسنجر وهو مفكر وقائد يهودي معاصر يجني الملايين من الدولارات لقاء خدماته التي يقدمها. وفي المقابل، فإنه عندما يُحَصل العالِم المسلم على قوت يومه، تكافئه الادارة إما بتخفيض راتبه أو تسريحه من مركزه. إن هذا الاتجاه شائع جداً. ويخبرنا الله تعالى في محكم كتابه العزيز بأنه تلك كانت الطريقة التي عومل بها بعض الأنبياء قبل الإسلام، وإن الله قد لعن أولئك القوم بسبب ذلك. فهل نحن المسلمون نقوم بما لُعنوا من أجله وهل هم يبارَكون اليوم لما يفعلون الآن؟

يجب أن يتبع المسلمون علماءهم كي يحصلوا منهم على العلم والمعرفة. إن العالِم الحق هو كنز الحياة وأفضل صديق. وقد روي أن أبا الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سَهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع. وإن العالِم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالِم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يو رّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر." سنن أبي داوود والترمذي

علاوة على ذلك، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"طلب العلم فريضة على كل مسلم."

وهكذا فإذا ما كانت بغية المرء التقدم في العلم والإيمان، وأن تتم هدايته بكل معانيها فإن عليه كشخص مسلم أن يلازم دائماً وأبداً العالم أو دارة أهل العلم. كما أنه يجب دعمهم مادياً ومعنوياً.

الفصل الخامس:

سنة الإتقان

في هذه الأيام، وأكثر من أي وقت مضى، ليس باستطاعة المسلم المهتم بدينه وأمته حقاً أن يتحمل أية نكسات أو فشل في مهامه. فمسلمو اليوم بحاجة ماسة لأفعال تكون قمة في الرقي والأداء. المناقشة التالية هي محاولة لإظهار الأفكار الإسلامية في ميدان ممارسة العمل للوصول إلى قمة الأداء.
تستخدم كلمة الإتقان في العربية لتشير إلى مستوى نوعية العمل.

أفضل ترجمة لكلمة إتقان هي: ترتيب وتنظيم الأشياء بطريقة علمية وفنية بهدف الحصول على أفضل النتائج كمالاً. والمرادف في العربية لكلمة إتقان كلمة إحكام (القيام بالأشياء بحكمة ورزانة). ولقد وردت كلمة (الحكمة) ومشتقاتها في القرآن الكريم ليس في أقل من ثلاثمائة موضع، وهذه هي الإشارة الأوضح والأبسط لاهتمام الإسلام بها وبإتقان نوعية العمل.

وإذا ما حاولنا مقارنة هذا التعريف الإسلامي لفهم «نوعية العمل» مع التعريف الشائع باللغة الإنجليزية، فإننا سنفاجأ عندما نعلم أن التعريف الإسلامي يتفوق على نظيره الإنكليزي في العديد من النواحي. فعلى سبيل المثال كلمة PRECISION تستعمل فيما يخص العلوم والمهن اليدوية، بينما يمكن استخدام لفظة الإتقان في مجالات العمل كافة. ولو أخذنا كلمة PERFECT «تام» في الإنكليزية كمثال آخر، فإننا نجد أن هذه الكلمة أيضاً لا تقابل كلمة إتقان. ويكون ذلك، حيث أن الأشياء قد تكون كاملة ولكنها غير فنية أو جميلة، وهو ما يتضمنه معنى كلمة الإتقان.

إضافة إلى ذلك، فإن كلمتي «الدقة والكمال» مجرد كلمتين آليتين وليس فيهما المدلولات الروحية لكلمة الإتقان ويمكن أن نرى هذه الحقيقة في الآية الكريمة التالية حيث يصف فيها الله سبحانه وتعالى مشهداً من يوم الآخرة قائلاً:
(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ. سورةالنمل الآية (18)
وتبين هذه الآية الكريمة أن العمل الإلهي يتم بكل إتقان. ففي الإسلام يكون لنوعية العمل مسحة روحية وذلك لارتباطه بالله سبحانه وتعالى، وهي اللمسة الإلهية التي تزيد وتضفي على كلمة الإتقان ضروباً من الروحانية والجمال والفن والكمال.
وحيث أن حب الله، وصفاته، وأسماءه الحسنى، يعد جزءاً أساسياً من الإسلام، فلا يسع المرء إلا أن يقدر المسافة الواسعة التي تفصل مسلمي هذا اليوم عن الإسلام، كما ينبغي أن يتم مراعاتها، إضافة إلى ذلك، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:
«إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.» رواه البيهقي

لندرس الآن سنة الإتقان من زاوية أخرى، ألا وهي مستوى الأداء، قال الله تعالى:
(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) (سورة الدهر الآية (2)

من خلال هذه الآية الكريمة يتضح لنا بأن الحياة ليست مجرد لهو وتسلية بل إنها أشبه بمضمار سباق، حيث يتنافس فيها المسلمون مع بعضهم بعضاً لمرضاة الله سبحانه وتعالى في سبيل بناء إيمانهم وبناء الأمة.

ولا غرو فتلك المنافسة الشريفة سترفع من مستوى الأداء ونوعية العمل عالياً، حتى يتم الوصول إلى أرفع وأعلى المستويات والمراتب.
إن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام خير مثال يحتذى على نوعية العمل العالية ورفعة الأداء. لنرى هذا المثال.
يروي عبد الله بن يزيد قائلاً: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في سرية فيهم أبو بكر وعمر، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو ألا ينوروا ناراً، فغضب عمر وهمّ أن يأتيه فنهاه أبو بكر وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم إلا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه عمر.» رواه البيهقي

يعطي هذا المثال فكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وثلاثة من أصحابه المكرمين. أولاً إننا نرى النبي صلى الله عليه وسلم كيف حدد المهمة، وخطط لها، واختار الشخص المناسب لوضعها موضع التنفيذ. والقائد الذي اختاره ألا وهو عمرو كان معروفاً قبل الإسلام بـ «داهية العرب» أو «استراتيجي العرب». ويمكننا ثانياً أن نرى مدى تفهم أبي بكر للقضية وحديثه لعمر، وأخيراً نرى إذعان عمر إلى ما هو أصح، بغض النظر عن علو مركزه وقوته بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعاً.

والمثال الثاني الذي ستتم مناقشته ورد عن راشد بن سعد الذي قال:
إن عمر بن الخطاب أُتي بمال فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه، فعلاه عمر بالدرة وقال: إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك.» حياة الصحابة ص57

فالانضباط والدقة والعمل المتناسق والمهام الذكية والعدل بين أجزائها جزء لا يتجزأ من العمل الإسلامي ودقة أدائه.

مخطط لحل المشاكل على طريقة إسلامية:
وضع المخطط التالي لإيضاح الاتجاه الإسلامي في حل مشكلة ما وحتى يكون مثالاً يحدد كيفية العمل لعموميات المشاكل وخاصتها وللتصرف معها بطريقة منظمة وحسب ضوابط مناسبة. ربما يبدو المخطط معقدا لكنه في الحقيقة بسيط. بعد محاولة قراءته وتصفحه، باعتقادي، يستطيع كل فرد استخدامه.

المخطط مؤلف من سلسلة من الصناديق في محور المخطط، وعلى أطرافه. كل صندوق يمثل وظيفة معينة مستقلة في استنباط الحل، ومجموعها وتداخلها مع بعضها البعض يمثل الطريقة الكلية للوصول إلى الحل. أما الصناديق التي على كلا الجانبين من الصناديق المحورية فهي أيضا تمثل عملية مستقلة ولكن تحتوي على معلومات مساندة لوظيفة الصناديق المحورية.

خطوات الحل تبدأ من انجاز وظيفة الصندوق المحوري الأعلى أولا ثم الذي يليه إلى الأسفل ثانيا وهكذا.
الأسهم المستخدمة في المخطط تمثل اتجاه المعلومات بين الصناديق وهي على نوعين. الأول وهو مرسوم بخط خفيف والذي يدلي ان المعلومة تخرج من صندوق معين الى صندوق آخر فقط ولا يصح العكس. هذا الترتيب في مجرى المعلومة يفيد في صفاء عملية الحل وحتى لا تختلط الأمور. اما الأسهم المرسومة بالخط العريض تدل على ان مجرى المعلومات ممكن أن يتم تبادلها بين الصناديق المتصلة بها بكلا الاتجاهين.

وتستخدم هذه المعلومات في الصندوق الذي يشير إليه السهم. ويجب الحفاظ على استقلال مهمة كل صندوق عن بقية مهام الصناديق الأخرى، والترتيب من الاعلى الى الاسفل.

ويمنع اتخاذ أي قرار أو عمل كرد فعل متسرع حتى تتم خطة الحل بأكملها. فالتسرع من الشيطان. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

"التّأنّي من الله والعجلة من الشّيطان" رواه أبو يعلى

ولقد خاطب النبي (ص) أشجع عبد القيس قائلا:

"إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة." (البخاري ومسلم)

علاوة على ما تقدم، عندما سئلت عائشة عن أعمال النبي صلى الله عليه وسلم أجابت رضي الله عنها، أن عمله كان يتصف بالديمة، وكذا آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، لما كانوا يقومون بعمل ما كانوا يتمونه الا مع التثبت من كل نواحيه. وهذا يعني «الدراسة والفحص الكامل قبل القيام بالتطبيق.» من أجل زيادة في إيضاح هذا الأمر انظر سنة التثبت في هذا الكتاب.

في الجهة اليمنى للمخطط، يوجد مصور توضيحي عن كيفية تطبيق فكرة التوكل على الله، والاعتماد على الله سبحانه وتعالى. جاء رجل إلى المسجد لأداء صلاته فنزل عن راحلته، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً:

يا رسول الله، هل لي أن أعقلها وأتوكل على الله (بأن تكون الناقة حيث تركتها حينما أخرج من المسجد،) أو أنني أرسلها (أتركها هنا حرة) وأتوكل على الله (بأن تكون حيث تركتها حينما أخرج من المسجد ؟) فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم: اعقل «اربط الناقة» وتوكل. «توكل على الله بأن الناقة ستكون في المكان الذي عقلتها فيه عندما تخرج من المسجد.

ففي المخطط، لاحظ عدد الخطوات والمراحل التي يجب على المسلم اتخاذها لتحقيق كلمة النبي صلى الله عليه وسلم (اعقل). وبالمقارنة، لاحظ الصندوق المفرد أو الوظيفة التي تنطبق عليها فكرة التوكل على الله. فالمخطط يوضح تماما أن إتمام العمليات المطلوبة على نحو تام وكامل يجب إنجازه قبل عقد نية التوكل. ورد هذا الحديث عن الترمذي.

تَأصَل واستُنبط هذا المخطط من قوله تعالى:

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا.) سورة الإسراء الآية (36)

ومن سنة التثبت وحديث النبي صلى الله عليه وسلم:

«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.» رواه مسلم

علاوة على ذلك، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى خطبه:

(خير الأعمال أنفعها(.

اللهم اجعلنا جميعاً من المنافسين في مضمار السباق لمرضاة وجهك وفي خدمة شريعتك السمحاء الحكيمة. قال الله تعالى:
(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ.) سورة الملك (1 - 2)

مخطط نموذجي لحل مشكلة أو معالجة أمر في الإسلام

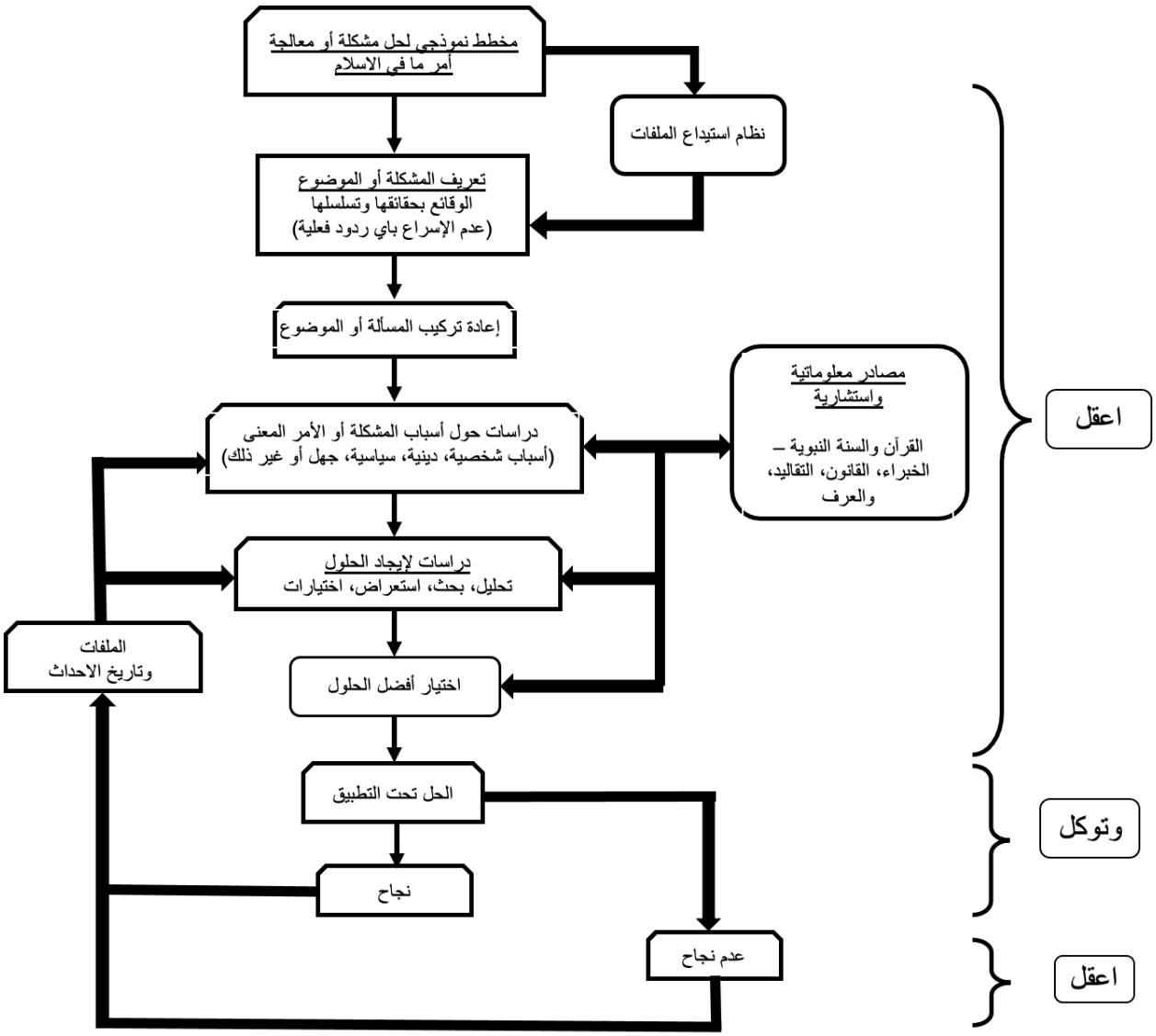

الفصل السادس

سنة التخطيط في الإسلام

إن تحديد الأهداف والعمل على الخطط والاستراتيجيات لضمان إنجاز أهداف مدروسة إنما هو سنة إسلامية.
هذا ما جاء به القرآن الكريم وطبقه النبي محمد صلى الله عليه وسلم لذا فينبغي أن ينبثق التخطيط من قلب حياة المسلم، ومن خلال نشاطاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية على حد سواء. ولكن ـ ولسوء الحظ ـ فإن هذه السنة الكريمة والثمينة لا ترى في حياة معظم مسلمي هذا اليوم. وإن غياب هذه السنة قد ساهم حقاً في إخفاقاتنا ومعاناتنا، علاوة على ذلك، فقد وعى خصوم المسلمين هذه السنة واستخدموها ضدهم.

أ ـ التخطيط في القرآن الكريم:
يعلّم القرآن الكريم المؤمنين أن يكونوا إستراتيجيين ومخططين لأعمالهم ويبين لهم ذلك بعدة طرق من خلال قصص الأنبياء والرسل، وأحكام شريعة الله. سنة التخطيط تنبع أيضا من طلب الله المتكرر في كتابه بالرؤية والتبصر والتدبر.
ويمكن أن نرى توضيحاً لسنة التخطيط في قصة نبينا موسى واستراتيجيته في الوصول إلى مصر ليدعو فرعون إلى عبادة الله. إن جُلّ هذه الخطـة تتجلى في آيات من سورة طه: قال موسى:
(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي.) سورة طه الآيات (2-32)

ففي هذا المثال يظهر بوضوح ثلاثة عناصر رئيسية للخطة.
العنصر الأول يبدو في إعداد موسى نفسه للدعوة، والشيء الحيوي والمؤثر والناجح في أي دعوة وهو قوة معرفة الفرد وحكمته في العمل وعمق إيمانه. وستظهر هذه الصفات الدعوية عند مواجهة المصاعب والتغلب عليها.
أما العنصر الثاني في خطة سيدنا موسى فهو كيفية التعامل والتحدث مع الناس. فقد تكون هناك مشكلة الإعاقة في النطق بالنسبة لسيدنا موسى. أو قد تكون نتيجة اختلاف اللغات أو العادات لقبائل مدين وأقباط مصر.
يجب على المرء أن يضع في اعتباره بأن لكل لغة لهجتها الخاصة بها والصور البلاغية التي لا يدركها إلا أناسها المحليون. وفي الواقع ففي آية أخرى من القرآن الكريم نجد أن موسى عليه السلام يدعو الله سبحانه وتعالى بأن يكون أخاه هارون الذي لم يغادر مصر قط هو وسيلة الاتصال في مهمته الدعوية، قال تعالى:
(وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون.) سورة القصص الآية 36

فبالرغم من أن سيدنا موسى قد نشأ وترعرع في مصر، إلا أنه أمضى وقتاً طويلاً في مدين، وهي منطقة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، إلا أنه أحب أن يستخدم أفضل الوسائل في مجال الدعوة إلى الله. وقد أدلى علماء التوراة بأن موسى كان في الثمانين من عمره عندما عاد إلى مصر «انظر: آ. ديليو نجار» قصص الأنبياء الصفحة 173.

فاللباقة والبراعة في الحديث في لغة تجذب من يُصغون، ولو فيها اللكنة، تعد أداة أساسية من أدوات الداعية الناجح، وبدون خطة لحل مشكلة كهذه ما كان بمقدور سيدنا موسى إيصال رسالته بفعالية، وهكذا فتوفير التبليغ والتواصل بنجاح هو شرط أساسي لنجاح الدعوة.

أما العنصر الأخير والذي يجب أخذه بالاعتبار في خطة سيدنا موسى فهو قضية الإمداد والدعم من العناصر والوسائل المطلوبة للمؤازرة والدعم في تنفيذ المهمة. ولهذا السبب فقد تضمنت خطة سيدنا موسى إشراك أخيه هارون الذي لم يكن فقط وسيلة لغوية مساندة وجيدة للاتصال، بل قوة روحية وجسدية في الدعوة وخاصة عند لقاء فرعون مصر.

يمكن للمرء أن يرى أن موسى لم يأخذ في الاعتبار إلا القضايا ذات الصلة بنجاح الدعوة، وهذه القضايا تعتبر المركز الذي بنى عليه موسى خطته. هذا المثال يوضح بأن سنة التخطيط جزء لا يتجزأ من إيمان المسلم. وعلينا ألا ننسى أبداً أن قصة سيدنا موسى مصدر إلهام لنا، وليست للتسلية.

وبطريقة مشابهة، فإن الخطط الموضوعة من قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام في بنائه الكعبة، وقبلها في تحطيمه الأصنام. إضافة إلى سيدنا يعقوب عليه السلام في إرساله ولديه للبحث عن أخويه يوسف وبنيامين، تعد إلهاماً للمسلمين في تخطيطهم لمهامهم وشؤونهم على نحو حكيم.

ب ـ بُعد النظر والتخطيط:

الرؤية مع التبصر هي القدرة على مشاهدة البعيد والقريب مما يحيط بالمرء من أمور وأشياء وظروف. إن الله سبحانه وتعالى اثنى ومدح أولئك الذين يملكون مثل تلك الخصال والميزات، كسيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب في قدرتهم الروحية وبعد بصيرتهم، قال تعالى:

(وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ.) سورة ص الآيات (45 - 46 - 47)

وبنفس الطريقة مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ لنفاذ رؤيته وبعد نظره في خطته التي اقترحها عليه قبيل الشروع الفعلي في معركة بدر، والخطة التي قدمها: «يا نبي الله، دعنا نبني لك عريشاً حيث تضع فيه راحلتك وتكون جاهزة بالقرب منك وعندما نقابل عدونا فإذا أقدرنا الله عليهم ونصرنا فهذا ما نصبو إليه، وإن كان غير ذلك، فعندها تمتطي راحلتك عائداً لمن خلفنا في المدينة الذين لا يرجون البقاء فيما لو علموا أنك تشارك في القتال وبحمايتهم لك يرعاك الله ويقدمون لك رأيهم الجيد ويقاتلون في جانبك.»

وقد امتدحه النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له بالبركة. وقد تم بناء العريش من سعف النخل. إن الذي دفع سعداً لهذه الخطة أن المعركة لم تكن متوقعة، ولم يكن المسلمون مستعدين لها، وقلة عددهم وعدتهم أمام كثرة قريش وتفوقها في العدد والعدة، ربما يؤدي لانهزام المسلمين وربما للقضاء عليهم جميعا. وكأن حرص ومدى بعد نظرة سعد تبدو في أن موت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة فيه موت الإسلام نفسه.

من خلال هذا المثال نرى أن خطة سعد لم تكن فقط متعلقة بالمعركة الراهنة ولكن فيها بعد نظر خلف المعركة. فإن بقاء الإسلام والذي يتجسد في حياة النبي هو هدف مهم يجب أن يؤخذ به في الخطة.

وهكذا، وبغض النظر عن الظروف الراهنة، ينبغي على المسلم ألا يعدم البصيرة للهدف الكلي أو المهمة المنوطة به. ونرى وبوضوح من خلال مثالنا أن البصيرة والتخطيط والتدبير كانت عوامل مهمة وأساسية في نجاح المسلمين الأوائل .ولهذا أثنى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقال فيهم:

(حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء.)

يقوم التخطيط لمشاريع بعيدة أو قصيرة المدى بصورة مؤكدة على حسن بعد النظر والبصيرة فإذا أحب الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم أولئك الناس من ذوي البصيرة والحكمة، فلم لا يتسابق المسلمون للتخطيط لنشاطاتهم بحيث يصبحون من ضمن أولئك الناس من ذوي البصيرة والحكمة؟

علاوة على ذلك، فإن القرآن الكريم شجع المؤمنين، بطريقة مختلفة، ليصمموا خططهم من خلال مراقبة صبغة الله سبحانه وتعالى في خلقه. اذ قال:

(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ). سورة القمر، (الآية 49)

ويقول أيضا:

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) سورة الحديد، الآية (22)

تُظهر هذه الآيات الكريمة أن كلاً من التصور والنتيجة النهائية لكل خلق ما هو إلا نتيجة لخطة مرسومة، وعليه، فإن الله تعالى يعلمنا أن أمره قد تم بحسب شأن موضوع وعلم سابق. وهذا إلهام كاف لأي مؤمن صادق الإيمان في أن يتبعه ويطبقه.

د ـ التخطيط في سنة النبي صلى الله عليه وسلم:

فإذا ما لفتنا انتباهنا إلى حياة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإننا نجد أن أعمالهم كانت مبنية على التخطيط. وقد تم وضع خططهم لكل الشؤون الدنيوية والدينية كما نرى من خلال الآتي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إذا ما قامت القيامة على أحدكم وفي يده فسيلة فليغرسها.»

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.»

هذا القول لعمر بن الخطاب دليل واضح لبناء عمل المسلم ولأن يكون حسب خطط موضوعة. ويتساءل المرء كم من المسلمين من وضعوا خطة عمل على دراية تقوم على أسس ومبادئ هذه المبادئ الشريفة؟ علاوة على ذلك، فإننا نرى في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العديد من الأمثلة في تطبيق هذه السنة الثمينة.

فعلى سبيل المثال نرى في قصة هجرته إلى يثرب (المدينة المنورة) العديد من التدابير الدالة على حسن تخطيطه لكل خطوة من خطا الطريق.

فحينما أوحي إليه بالهجرة استنبط الرسول خطة مع أقرب أصحابه، أبي بكر الصديق، حيث كانت تلك الخطة سرية ولا يعرفها إلا من شاركوا في أدوارها. فقام النبي باستئجار عبد الله بن أريقط ليكون مرشداً له في رحلة الهجرة. وبعدها طلب من صاحبه أبي بكر إعداد راحلتين محملتين بالزاد والماء ـ ولضمان معرفة ما يقوم به عدوه خلال مسيرة هجرته، ولإبقائه على اتصال دائم مع بعض المسلمين، فقط طلب إلى أسماء بنت أبي بكر وأخيها عبد الله بتزويده ووالدهما بالمؤن وإيصال الأخبار إلى مكان مخبئهما القادم.

ولتأكيد ضمان نجاة آمنة لهما، ولتفادي وقوعهما بأيدي قريش، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم خادم أبي بكر ـ عمار بن مهيرة ـ أن يرعى قطيع غنمه خلف مسير أسماء أو عبد الله أخيها ليمحو آثار أقدامهما وذاك عندما يوصلون الطعام والأخبار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ووالديهما.

وعند تقييمنا لخطة النبي صلى الله عليه وسلم برمتها، فمن الضروري أن نستحضر كل تفاصيل ودقائق الهجرة بدءاً من قبيل مغادرته مكة إلى يثرب. فإن قريشاً والقبائل معها حاولوا مرتين على الأقل قتل النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنها لم تفعل خشية الوقوع في براثن ضغينة الدم مع عشيرته.

ولكنهم بعد ذلك وضعوا خطة لقتل النبي دون أن يخافوا من الأخذ بالثأر؛ وتستدعي خطة القتل هذه أن يتم تنفيذها بواسطة ممثل من كل عشيرة من عشائر قريش على أن يقوموا مجتمعين بضربته ضربة رجل واحد. وبهذه الخطة، لن تستطيع عشيرة النبي من بني هاشم أن تقاتل كافة عشائر قريش مجتمعة.

أخبر الله سبحانه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بخطتهم تلك وآذنه بالهجرة إلى يثرب. وفي تلك الليلة التي أحاط المجرمون بمنزل النبي صلى الله عليه وسلم ليقوموا بفعلتهم الشنيعة، طلب النبي من صهره علي بن أبي طالب أن يلف نفسه في عباءته وأن ينام في فراشه. وفي منتصف تلك الليلة خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين جماعة المتآمرين عليه وهم نيام، وخرج ناجياً بنفسه صلى الله عليه وسلم من مكة.

ولتضليل أعدائه من قريش والذين كانوا يعتقدون أنه سوف يغادر باتجاه الشمال للانضمام إلى بقية المسلمين في يثرب، فإن محمداً وأبا بكر توجها بدلاً من ذلك جهة الجنوب واختبأا في غار ثور جنوبي مكة. وقد أمضيا هناك ثلاثة أيام حتى يهدأ غليان البحث المحموم عنهما. وفي غضون ذلك كانت الأنباء تصلهم حسب الخطة الموضوعة.

وعليه فقد اطلعوا على كل أفعال قريش وخططها كما لو كانوا بينهم. وبعد مغادرة مخبئهما بدءا برحلة الهجرة إلى يثرب وذلك بسلوكهما الطريق الأطول، فقد مضيا أولاً نحو الشمال على محاذاة البحر الأحمر، ومن ثم انحدرا شرقاً إلى يثرب بدلاً من سلوكهما الطريق الأقصر المعتاد. ومن المهم أن نبين هنا بأنه وبالرغم من عمق إيمان الرسول بالله تعالى أنه سيحميه، إلا أنه لا يزال يعمل بالأسباب ويضع خطة الهجرة بكل عناية وتأن.

إن أعماله هذه وخططه في هذا الموقف مثال واضح لكل المسلمين أن عليهم وضع الخطط وأن عليهم أن يأخذوا في الاعتبار كل إمكانية وبدائلها عند وضع خططهم وذلك لأجل ضمان نجاحها. وعلى ذلك فإنه من غير الملائم أن تقوم بعمل دون تخطيط وتفترض أن الله سبحانه وتعالى سيصحح عملك إن أخطأت به لأنه هو اللطيف بعباده وأنك مؤمن به. لا. إن خطة النجاة التي وصفها النبي توضح مدى مستوى العمل الجدي والفطنة والقيادة والتبصر التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يبدياها في أعمالهما.

وقد عرض أشراف مكة مائة ناقة مكافأة لكل من يدل على محمد. ولكن وبسبب تخطيط النبي صلى الله عليه وسلم والأناة فيه ثم الاتكال على الله فقد فشلوا في العثور عليه. وبعد عشرة أيام من السفر، وصل النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأمان إلى يثرب. وكان ذلك اليوم في منتصف شهر حزيران /يونيو/ عام 622 ميلادية.

وقد اعتمد هذا التاريخ كبداية للتقويم الهجري الإسلامي، وكان أساساً لقيام كيان الأمة الإسلامية.
ومن المؤسف له، بأنه وعلى مدى العديد من السنوات الماضية، لم يتوقف استنباط وتنفيذ الخطط والمؤامرات الساعية لتقويض الدين الإسلامي والمسلمين، إذا لم يكن اقتلاع الدين من جذوره، ولا تعد المجازر والمذابح التي ترتكب بحق المسلمين في كل من العراق وكشمير ولبنان وفلسطين والصومال إلا أمثلة قليلة للاعتداءات الأخيرة الآثمة ضد مسلمي العالم اليوم.

وما يقلق حقاً بأن دولة إسرائيل تضع بثقلها وتتدخل بشكل قوي في حكومتي كل من تركيا وأثيوبيا لمناقشة السيطرة على مصادر المياه لكل من نهري الفرات والنيل. وتعد هذه الخطوة جزءاً من خطة وضعت لفرض

هيمنة إسرائيل على المنطقة. ويتعلق ذلك مباشرة بتصريح لرئيس مجلس الوزراء الإسرائيلي آنذاك ابن غوريون في عام 1950م، عندما قال بأن مستقبل الشرق الأوسط يكمن في أيدي القوى التي تسيطر على مصادر المياه.

والمثل الآخر الذي يؤسف له حقاً هو سيطرة خصوم الإسلام على المسلمين وذلك في استخدامهم الناجح لسنّة التخطيط في وعد بلفور عام 1917م، والذي أعطى الدعم والمساندة الرسمية العامة البريطانية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وقد تم الاقتراح «ودوّن بشكل مبدئي» من قبل الصهاينة للحكومة البريطانية للموافقة على ذلك مقابل المعونة اليهودية والدعم لجلب وإقحام الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفاء. وفي ذلك الوقت كان الحلفاء المحاصرين على شفا خسارة الحرب.

وقد أصبحت هذه الوثيقة البريطانية الرسمية فيما بعد جزءً لا يتجزأ من دستور دولة إسرائيل. ومع ذلك فلم يتحرك العالم الإسلامي لهذه الخطة إلا بعد أربعين سنة عند تطبيق القرار عام 1947م. وعلى أساس أكثر عمقاً، فلم يستطع المسلمون من وضع خطة لتوحيد احتفالات أعيادهم وتحديدها في يوم واحد. وبهذا الخصوص يمكن رسم خطة بسيطة تجمع ما بين العلم والحديث والمشاهدة التقليدية للقمر بالعين المجردة وذلك بخطوتين اثنتين:

1 ـ تحديد إحداثيات الهلال لكل شهر قمري، وبنفس الوقت توثيق مشاهدته بالعين المجردة.
2 ـ إرسال مراقبين اثنين إلى الموقع الذي يُتوقع إحداثيات الهلال والمحددة في الخطوة الأولى أعلاه لتأكيد رؤية الهلال، ويمكن إعادة هذه المراقبة والمشاهدة على مدى الاثني عشر شهراً القمرية، وذلك كوسيلة من وسائل التأكيد، ويمكن استخدام المعلومات المستقاة من هذا التمرين والمعلومات الفلكية وجداولها لوضع تقويم قمري على مدى المائتي سنة القادمة أو حتى أبعد من ذلك وعندها سوف يوفر هذا التقويم للمسلمين في كل مكان من العالم تحديد موعد كافة المناسبات المتوقعة بما فيها احتفالات الأعياد.

وقد لا تحتاج هذه الخطة البسيطة إلى أكثر من عالم فلكي وعالم من السلطة الدينية لتطبيقها بشكل كامل. وقد لا تتعدى إمدادات وتكاليف هذه الخطة سوى الانتقال إلى الموقع المناسب حيث يمكن مشاهدة القمر حسب الخطوة الأولى أعلاه. فلماذا بعد ذلك لم يستطع ما ينوف على البليون ونصف مسلم من إيجاد حل لهذه المشكلة البسيطة؟ ولماذا لا يخرج المسلمون أنفسهم الى «ساحة الملعب»، كما هي الحال في سنة التخطيط، ليواجهوا الأحداث التي تلعب في دور تشكيل الأمم، ولكنهم، بنفس الوقت، يُثارون وبسهولة إلى تفاصيل فقهية لا تمت إلى واقعهم المتدهور بصلة لا من قريب ولا من بعيد؟

وبعد سماع النصوص التالية من سورة إبراهيم الآية 24 ـ 27 من القرآن الكريم، فلا يمكنني إلا ملاحظة التشابه بين «الكلمة الطيبة» وموضوع مقالتنا «التخطيط». قال الله تعالى:
)ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تُؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من الأرض مالها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء.)
سورة إبراهيم الآيات (من 24- إلى 27)

إن الهيكل العام ودورة الحياة لخطة نموذجية مشابهة جداً لمثال «الكلمة الطيبة» التي وردت في الآيات السابقة. ففي واقع الأمر، فإن الخطة تعمل عمل الشجرة في طرق عدة. أولاً كل عمل يقوم على خطة والتي تقوم مقام الجذر الخطة كالجذر بالنسبة للشجرة. وبعد ذلك فإن الخطة في نتائجها، مثلها كمثل الشجرة، عندما تؤتي أكلها. فقد تصمم بعض الخطط كي تعطي نتائج على مدى قصير، بينما يتم تصميم الأخرى على المدى البعيد. وأخيراً،

مثل الخطة في تشعبها وامتدادها مثل فروع الشجرة التي تمتد إلى السماء، فكما أن الخطة الذكية التي يتم تنفيذها بشكل جيد، يمكن لها أن تعطي نتائج ناجحة يصعب تحصيلها بأي طريق آخر.

ومن جهة أخرى، فإن القيام بأعمال دون تخطيط مسبق مناسب أو بقليل من التخطيط، فهو عديم الجدوى أو النفع، مثله كمثل شجرة مقلوعة من جذورها، ولسوف تفشل في إنتاج أي ثمر. إن العمل غير الموجه، وغير مستقر سيفشل في تحقيق أهدافه. إن الله يثبت بقوة الذين يؤمنون بـ«الكلمة الطيبة» والتي مثلها كمثل الخطة والتي تبقى صامدة ثابتة بإذن الله. وستبقى هذه الحقيقة ثابتة حقاً في عالم الدنيا هذا ثم تستقر في عالم الآخرة.
وإذا ما تذكر الإنسان هذا التشابه فإنه لا يستطيع إلا أن يجري على وفق ما ورد على لسان والد محمد إقبال عندما قال له:

«يا بني، اقرأ القرآن كما لو أنه أنزل إليك.»

إن التخطيط على مستوى الأمم والمجتمعات والأفراد أساس نموهم. وهو بالنسبة لمسلمي اليوم سنة، ان طبقت فسوف تعينهم على تأسيس أنفسهم وأعمالهم حتى تنتج ثمرة مباركة موفقة بإذن الله عز وجل.

الفصل السابع

اعتبارات روحية

آ ـ الصلاة في جوهرها:

تعد الصلاة المكتوبة مدارس أو معاهد لعملية صنع الحياة الصحيحة للمسلم. وتأتي كلمة صلاة من الصلة، والتي تعني الوصل والاتصال. لذلك فالصلاة آلية الاتصال بين العبد والله سبحانه وتعالى والتي يجب أن تتم بالتأكيد بكل تواضع وحضور للنفس.

إن الطمأنينة والهدوء هما النتائج المباشرة لصلاة المسلم. أما بالنسبة لكثير من مسلمي اليوم، سواء تم الوفاء بأهداف الصلاة أم لم يتم، فإن أداء الحركات الجسدية للصلوات اليومية الخمس، باعتقادهم انها سقطت عنهم، وهذا يوفر لهم فرصة للجلوس والراحة.

الصلاة هي لأجل من يصليها ليست من أجل الله، فهو غني عن صلاتنا. فرض الله تعالى الصلاة كفرصة للعبد ليتقرب بها إليه، وليبحث عن فرصة لينوب إلى الله ويكون من الأوابين. قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى:

«ليس كل مصلٍّ يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، وآوى الغريب، كل ذلك لي...» رواه الديلمي. الترغيب والترهيب.

ولن يقبل الله سبحانه صلاة العابد بل لا ينظر إليها إن قام بها دون التبجيل والتوقير والخشوع اللازم لله. روى أحمد في كتابه المشكاة بأن طلق بن علي الحنفي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«لا ينظر الله عز وجل إلى صلاة عبد لا يقيم فيها صلبه بين ركوعه وسجوده.»

علاوة على ذلك، فإذا لم تحقق الصلاة المؤداة النتيجة المتوخاة منها ألا وهي مراعاة أوامر الله والسلوك مثل: التقوى، وخشية الله سبحانه وتعالى وتفادي الإثم والظلم. وإذا لم تُغَيَّر كلمات الإيمان وتُحَول لأفعال وأعمال، فعندها لم تُحقِق الصلاة وظيفتها المنوطة بها. قال الله تعالى:

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ.)

سورة المؤمنون الآيتان (1 – 2)

الفلاح هو لأولئك المؤمنين الذين يصلون إلى الخشوع: (وهو تواصل عقل المرء وتفكيره ونفسه الداخلية بتواضع مع الله سبحانه وتعالى أثناء تأدية الصلاة.) ففي عالم الإسلام اليوم قد يجد المرء كتيبات صغيرة حول الخشوع، ولكن ذلك لا يقترب من آلاف الكتب المدونة حول الطهارة (النظافة والوضوء). ومع كل الاحترام لكافة أفعال العبادة، بما فيها الوضوء، فلا يوجد دليل في هذه الآية الكريمة يثبت بأن الرفاهية هي من نصيب المؤمنين الذين يؤدون الوضوء. فلماذا هذا العديد من الكتب حول هذه الوظيفة الميكانيكية البسيطة إذاً؟

هناك العديد من الآيات الكريمة في القرآن الكريم والتي تدعونا إلى التفكير بعلامات الله سبحانه وتعالى والتي تدعو إلى سلامة القلوب والتأمل، وذكر الله سبحانه وتعالى والقنوت. ولكن توجد فقط آية واحدة تتحدث عن الغسل والطهارة. هل لعدة هذه الآيات ألا تعكس أهمية الموضوع؟ أم أنها جُعلت للقراءة والتلاوة فقط؟ فإذا كان بالإمكان كتابة مئات الكتب حول موضوع الطهارة فلمَ لم يُكتب مثلها حول سلامة القلوب والإحسان، والخشوع والتقوى التي تشمل العلاقة ما بين العابد والله سبحانه وتعالى؟

هناك حاجة للكتابة عن شعور الإنسان الداخلي بوجود الله عز وجل، ومعاني الصلاة الروحية، وروحانية شهر رمضان الكريم، والمعنى الحقيقي لفريضة الحج ودورها في توفير الخلوة مع الله تعالى، وتحلل الإنسان من متاع الدنيا، وربطه بالله سبحانه وتعالى لتلك الفترة من الحج .إن الكتابة وإجراء برامج جدية في هذه المواضيع هو شيء لابد منه كي نصل إلى النجاح المأمول. دعونا نقرأ ونتفهم بعضاً من إلهامات الله تعالى.

يروي البخاري ومسلم في صحيحهما بأن عثمان بن عفان رضي الله عنه توضأ ومن ثم قال:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدّث فيهما نفسه، غُفر له ما تقدم من ذنبه.» متفق عليه.

عندما نؤدي الصلاة بما لها من حضور في التواصل مع الله سبحانه وتعالى يمكن أن نحرز الطمأنينة والتمتع بأدائها وبالتالي يَتِمُ إدخال السرور إلى النفس. فعندها يتجه المسلم بوجهه نحو القبلة لأداء صلاته، فإن عليه في نفس الوقت التوجه بكل مشاعره وتفكيره نحو الله سبحانه وتعالى. فالصلوات المكتوبة هي فرصة وصل رائعة مع الله سبحانه وتعالى.

كما يجب تَنَحية كافة الأعمال والشؤون اليومية جانباً. فقد كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم أقرب الناس صلة بالله تعالى. كان يكثر من أداء الصلاة بشغف حتى إن قدميه تتورمان أحياناً بسبب وقوفه الطويل.

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكورا." متفق عليه

والصلاة المكتوبة بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم وسيلة من وسائل الامتنان والشكر والعرفان بالجميل نحو خالقه. إضافة إلى ذلك، ولما كانت الصلاة سبيلاً مباشراً للاتصال مع الله عز وجل، فقد وفرت أجمل الأوقات وأعذب اللحظات للنبي صلى الله عليه وسلم. ولا أدل على ذلك من الحديث التالي. فعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«حُبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء والطيب. وجعلت قرة عيني في الصلاة.»

رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة

وبسبب صلته الروحية مع الله وما ذاقه من متعة في هذه الصلة، فعندما يحين وقت صلاة ما، اعتاد أن ينادي صاحبه بلالاً للنداء للصلاة مبرزاً واحداً من آثارها الجميلة قائلاً:

«يا بلال أقم الصلاة وأرحنا بها.» رواه أبو داوود

وعليه فإن الصلاة وسيلة رائعة للوصول إلى الطمأنينة والسكينة لأنهما المنافع المباشرة التي نشعر بها عندما نؤدي الصلاة على الوجه الأكمل، وعلينا أن ننشد بجد فهم الوظيفة الروحية الحقيقية ودور الصلاة وضوابطها في حياة المسلمين كما علينا ألا نجعل جُل اهتمامنا منصباً على حركاتها ومظاهرها الخارجية.

ب- موقع القلب في الاسلام

ذُكرت كلمة القلب ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من مائة وثلاثين مرة. أليس هذا العدد من تكرار مواضيع القلب تأكيدا، على نحو جلي، على أهمية القلب والمواضيع المتصلة به؟

إن القلب هو موضع اتخاذ القرارات والتصرفات الأخلاقية والإيمانية والأداب الإسلامية. وبنفس الطريقة التي يتطلب فيها الجسم الغذاء، فإن القلب والنفس البشرية يحتاجان إلى التغذية الروحية. لهذا يكرس القرآن الكريم أهمية كبرى لنوع التغذية التي ينبغي أن تتلقاها النفس في أعماقها. وهذا مما يبعد الإنسان عن مهاوي الضلالة والضياع ولهو الحياة.

إن اتخاذ القرارات التي تقوم على مجرد المعرفة العقلية والفكرية دون أية اعتبارات للنواحي الأخلاقية قد يفضي إلى كارثة. لقد استغل الشيطان معرفته من أجل المجادلة فيما أمره به الله تعالى. فما قام به الشيطان باستخدامه لمعرفته واعتماده عليها كان السبب في إخراجه من الجنة ولخلوده في نار جهنم.

ولسوء الحظ فإن عددا من المعاهد والجامعات الإسلامية حول العالم يقوم عليها ويديرها أساتذة نصارى أو يهود. وهؤلاء يمنحون الطلاب المسلمين درجات النجاح العالية في المواد الإسلامية. فهل نتوقع أن يمنحوهم الإيمان الحقيقي والصادق المحمل بالتقوى والمفعم بالطمأنينة والسكينة؟

يجب بالتأكيد أن تأتي هذه المعرفة من قبل علماء مسلمين والأكثر روحانية، الذين ورثوا النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم وإضفاء روح التزكية والحكمة في نفوس أتباعهم وطلابهم. وينبغي على المسلمين استنباط وتنفيذ الخطط لتزويد العديد من الكليات والجامعات بالمؤمنين الحقيقيين والعلماء في كافة أنحاء العالم. إن القلب بالنسبة للمؤمنين منبع المشاعر الطيبة والحب والاهتمام. ولكنه أيضاً سهل التلوث بمفاتن الدنيا الدنيئة.

إن إصلاح القلب بذكر الله شيء ضروري للحياة الإسلامية الصحيحة. والله سبحانه وتعالى يسألنا في كتابه الكريم وعلى كل واحد منا الإجابة، إذ يقول:
(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمْ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.) سورة الحديد الآية (16)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة:
«لا ينظر الله إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم.» رواه مسلم

علاوة على ذلك، يصف الله تعالى أولئك الذين يطبقون أوامره على أنفسهم، والذين يتجنبون بحزم ما أمرهم الابتعاد عنه، بالذين يأتونه يوم القيامة بقلب منيب مملوء بالإخلاص والطاعة.
ولنقرأ ولنتفكر ايضا كيف أُعدت الجنة للمؤمنين كمشهد عروس ليلة زفافها عندما نقرأ قوله تعالى:
(وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ، مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) سورة ق الآيات (31 - 33)

إن ذكر الله يغمر القلوب بالطمأنينة ويغذي الأرواح بالسكينة والنفوس بالرضى. ويخبرنا الله تعالى عن ذلك على نحو رائع في آيات من سورة الرعد:
(قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ.)
سورة الرعد جزء من الآية 27 والآية28

اجتنب حياة الارتياب والشك من المنغصات والقنوط، وهب قلبك وكيانك كله لله سبحانه وتعالى لتعيش حياة الأمان والتقوى والسكينة. دعنا الآن نتطرق إلى ثمرات التقوى والصلاح. فالتقوى ميزة إسلامية جوهرية تأتي من خشية الله سبحانه والنظر في آياته البينات.

ت- موضع التقوى في الإسلام

إن التقوى درع المؤمن الذي يقيه من ارتكاب الآثام والأذى، ولقد ورد لفظ التقوى ومشتقاتها في القرآن الكريم في مائتين وسبعة وأربعين موضعاً. مرة اخرى، في تكرار هذا اللفظ دلالة قوية على أهمية التقوى. فذكر الله وأداء الصلوات والفرائض الأخرى هما التربة الصالحة لنمو التقوى وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم موضع التقوى في حديثه المشهور:

"التَّقْوَى هاهُنا. ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ." صحيح مسلم

ويشير النبي صلى الله عليه وسلم بوضوح في خطبة حجة الوداع إلى أهمية التقوى بقوله:

"أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى." تاريخ الطبري

والله سبحانه وتعالى يذكرنا بهذا فيقول:

"إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ." سورة الحجرات جزء من الآية 13

لماذا لا يُعيرُ العديد من مسلمي هذا اليوم اهتماماً بالأمور التي تعتني بسلامة سلوك الفرد والتي هي الأساس الوحيد للحكم على سلوك الإنسان؟ لنتمعن في بعض الآيات التي تظهر أهمية التقوى كما أرادها الله سبحانه وتعالى، قال تعالى:

"وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ. أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ." سورة التوبة الآيات (107 - 109)

وقد أنزلت هذه الآيات الكريمات لتخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن مسجد ضرار الجديد والذي كان قد بُني من قبل المنافقين، هو مسجد معارض لمسجد قباء. والذي كان قد بني سابقاً من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام. وقد بني هذا المسجد المعارض ليضعضع وحدة المجتمع الإسلامي وذلك لخلق الفتنة والأذى، ولقسم قوى المسلمين. وفيما بعد تم تهديم ذلك المسجد من قبل النبي صلى الله عليه وسلم.

ويقول علماء المسلمين بأن أي مسجد يتم بناؤه بدون تقوى وبنيّة تقسيم وإضعاف وتوجيه الأذى للمسلمين يجب عدم الحضور إليه للصلاة ويجب أن يتم إغلاقه وهذا اجتهاد المذهب المالكي.

وكما شاهدنا، فإن التقوى هي مادة جوهرية وأساسية في الإسلام وبخاصة في مراحل التأسيس وفي وضع هدف لأي مشروع أو عمل.

انه لمن المؤسف أن نرى من المسلمين من لا تدخل إلى قلوبهم كلمات الله هذه العامرة بالحياة. لنقرأ قوله تعالى:

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ." سورة الحشر الآية 18

ث ـ سنة القنوت (الإطاعة مع السكينة):

إن قيام الليل في الظلام، أو في الأماكن البعيدة كالجبال والوديان لها أكبر الأثر في تهذيب المؤمن وفي عبادته. القنوت هو تلك الحالة من الاستقرار في عبادة المؤمن لله في سكون وهدوء وسكينة، ولإتاحة حالة من الانسجام ما بين تلاوة اللسان وما بين تلقي القلب من هذه التلاوة وقبولها. وإن الله تعالى يعطي مكانة خاصة للشخص العابد القانت إذ يقول:

"أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ." سورة الزمر الآية 9

وعلى غرار ذلك فقد دعا الله سبحانه وتعالى مريم أم النبي عيسى، سلام الله عليهما، كي تكون من القانتين. لنقرأ ونتمعن. قال الله تعالى:

"يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين." سورة آل عمران الآية 43

وبالمثل يصف الله سبحانه وتعالى على نحو جميل المؤمنين من الرجال والنساء بالقانتين والقانتات، والعابدين والعابدات، ويعدهم بالمغفرة والأجر الحسن لنقرأ من القرآن ولنقرب إلى قلوبنا الميزات الحسنة للرجال والنساء صادقي الإيمان.

قال الله تعالى:

"إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا." سورة الأحزاب. الآية 35

تعتبر سنة القنوت إحدى صفات المؤمن والتي يريد الله بها أن تنعكس في كافة تصرفاتنا. وتتحدث سورة المزمل عن القنوت بلغة قيام الليل. وهنا يدعو الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم، كي يقف لأدائها بقوله:

"يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا. نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا. إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا. إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا." سورة المزمل الآيات. (1 - 6)

فالقنوت إنما هو وسيلة طيبة للوصول لتزكية النفس. يعلق يوسف علي على صلاة قيام الليل في ترجمته للقرآن الكريم للغة الانجليزية فيقول:

ومن أجل التأمل والتفكر وأداء الصلاة والشكر لله تعالى، فلا أجمل ولا أنسب من الليل والسكون عندما يلتف العالم بالسكينة والهدوء ويكون صخب الحياة وضوضاء السوق هادئاً وتناجي النجوم بعضها بعضاً حتى تخترق أعماق وبصيرة الروح.

ولكي أختم فقد اقتبست مرة أخرى من الترجمة والتفسير للقرآن الكريم ليوسف على قوله: يجب ألا تقرأ كلمات القرآن الكريم على عجل من أجل الوصول إلى أكبر كمية من التلاوة ويجب قراءة كلماته، والتفكر بعمق معانيها فهي نفسها جميلة جداً بحيث ينبغي لفظها على نحو متقن وجميل في نغمات موسيقية عذبة. قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ.﴾ غافر13

كما يقول:

"وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا."
سورة الإسراء الآية (3 6)

الجزء الرابع:

مخطط تمهيدي للحلول

الفصل الأول: تَميُز وتفرد الحل وجديته
الفصل الثاني: تطبيق الحلول والتوصيات
الفصل الثالث: طرح فكرة الحل في هذا الكتاب في المؤتمر العالمي الأول للوحدة الإسلامية في عام 1996
الفصل الرابع: نموذج للمنهاج الإسلامي المطروح في هذا الكتاب

الفصل الأول

تَميُز وتفرد الحل وجديته

الحل المقترح والمبني على إحياء مدارس رسول الله في الكتاب والحكمة والتزكية تؤول الى أن التغيير الشخصي والفكري والروحي للفرد هو العملية الوحيدة للبدء في طريق النجاح. فعلى سبيل المثال، بالرغم من أن تغيير الحكومة في السودان من علمانية إلى إسلامية هو أمر إيجابي، فليس من الضرورة لمثل هذا التغيير أنه هيأ ظروفاً متوقعة لحياة أفضل للبلاد أو لرفع الناحية المعنوية والروحية للمسلمين. بل كان نتاج ذلك التغيير اسوأ في انقسام البلاد الى دولتين، وقتل الأبرياء واقتصاد البلاد نتيجة لاقتتال عبدة المال على ثروات رخيصة فيها. إن التغيير السياسي وحده ليس الجواب للتربية الروحانية المثالية للمسلمين او لتحقيق الازدهار والرفاهية. قال الله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ. (الرعد 13/ 11)

وعلينا ألا ننسى كيف رفض النبي محمد صلى الله عليه وسلم عرض قريش ليكون ملكا على شبه الجزيرة العربية. كما لا ننسى رفض عمر بن الخطاب الخليفة الثاني للنبي محاباة ابنه عبد الله على شؤون عامة تخص جماعة المسلمين.
ولا يعني كون المرء جزءاً من الحكومة أن يكون قادراً على التغيير وليست دائماً هي الطريقة الفضلى لتحقيق التغيير. الأمر يحتاج إلى عقول نيرة متفتحة وتغيرات في القلب والوجدان لإحداث تغيير حقيقي، دائم ومقبول من الاغلبية.

لم يبن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه للتطاول على الملك والرئاسة، بل بنى الأمة مبتدئاً بإصلاح قلب الفرد من داخله وبتحويل خصاله السيئة إلى خضوع وخشية لله. حيث جعل القلب يوجل والعين تدمع بالاستماع إلى تلاوة كلام الله سبحانه وتعالى. اصلاح القلب هذا شد الناس إلى فضيلة التقوى بحساسية مفرطة، بحيث أنهم وفي فترة زمنية وجيزة فتحوا بلاد فارس شرقاً وسورية الكبرى (بلاد الشام) شمالاً. ووصلوا إلى إسبانيا غرباً وخلصوا جميع شعوب هذه الأقطار من براثن القوتين الأعظم في العالم آنئذ، فارس وروما.

والحل المطروح هنا يدعو لهذا النوع من التغيير ويوصي ويفسر منهجية تطبيقه. من أصل هذا الحل أيضا إعادة رص صفوف المسلمين للوصول إلى وحدة تفكيرهم وصدق إيمانهم. وينبري التاريخ الإسلامي وسيرة رسول الله في تأكيد وتبرير هذا الحل.

عند إنعام النظر في التاريخ الإسلامي في فترات الازدهار وعبر فترات الانحدار فيه، فإن المرء يجد بأن فترات الازدهار والنصر تلك قد تحققت للمسلمين عندما كان الإيمان الحقيقي مستقراً في قلوبهم، وكذلك عندما احتلت النواحي الروحية لديهم أولوية عليا توازي أو تفوق النواحي المادية.

وقد وُجدت هذه الحقيقة مع بداية الفترة الأولى من ظهور الإسلام حيث قام معلم الإسلام، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بغرس الإيمان الصحيح في قلوب أصحابه ومن ثم تمّ للنبي وأصحابه الكرام بما فيهم الخلفاء الراشدون تغيير ثلث وجه الكرة الأرضية، على نحو ملفت للنظر، من الجهالة والوثنية إلى نور المعرفة والعلم والحكمة والحرية والعدالة.
وقد كانت الفترة الثانية من التاريخ التي نهض فيها المسلمون فترة اخترق فيها الإسلام عمق افريقيا والصين والجزر الإندونيسية خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين. لقد كانت بحق ثورات بناء الإسلام في قلوب الجنس البشري تألقت في غضون هذه الفترة في ذروة قممها.

إنها فترة سلطان الإسلام. لقد امتلأ كل بيت وكل مسجد بزوايا ذكر الله تعالى، وقد غُمرت القلوب بخشية الله ومراقبته. وامتدت تجارة المسلمين وأعمالهم من الجزر الأندونيسية في الشرق الأقصى إلى أوروبة وقلب أفريقية في الغرب. واستمر دعاة نشر الإسلام وتجار المسلمين الربانيون الحقيقيون ممن يُحيون ذكر الله في إدخال ونشر الإسلام في بلاد الشرق الأقصى بالعمل الدؤوب على تغيير أحوال الناس نحو الأفضل باتباع أمر الله وشرعه في الروحانيات والحكمة.

وحدث التغيير الآخر الملفت للنظر في التاريخ عندما عادت روحانية الإسلام وذكر الله ليغمر قلوب المسلمين وكان ذلك أثناء هزيمة الصليبيين على يد صلاح الدين. كان صلاح الدين، اسم والده أيوب، وأعمامه عماد الدين شركوه ونور الدين، والعديد الآخرون من أعضاء حكومتهم قد حددوا أمكنة خاصة في منازلهم وفي المساجد كزوايا لتكريس ذكر الله وحِلَقِ العلم. وكانت أمكنة الذكر هذه مشابهة في وظيفتها لغار حراء بالنسبة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وجبل سيناء بالنسبة للنبي موسى عليه السلام، كما شابهت معتزل أهل الكهف ومحراب سيدتنا (مريم).

وقد جاء ذكر هؤلاء جميعاً في القرآن الكريم. لقد كانت هذه الأمكنة مدارس لتدريب وتطهير قلوب المسلمين ليصبحوا مؤمنين صادقين في إيمانهم. وفي واقع الأمر فقد كانت شهرة صلاح الدين بمعرفته للقرآن الكريم والإسلام أكثر من شهرته في براعته العسكرية.

إنه صلاح الدين الأيوبي الذي أسس مدرسة مذهب الإمام الشافعي في القاهرة. وفي عام 1183 عقد مؤتمر إسلامي وفي غضون سبع عشرة عاماً كان له أن يبعث نور الإسلام الحقيقي ليغمر قلوب المسلمين حيث كان اسم الله يُذكر ويُعظم في كل بيت وكل حانوت بل في كل مكان. وقد استطاع صلاح الدين بمؤازرة المسلمين ممن تجدّد الإيمان في قلوبهم أن يزيل كابوس الصليب الذي طغى على البلاد مدة مئتين وخمسين عاماً.
يجب على المسلم أن يتخذ من هذه الأمثلة أنموذج هدي وعمل لإحياء قلبه وقلوب من حوله وليس فقط للرواية.

الفصل الثاني

تطبيق الحلول والتوصيات

كان من أدعية أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام والذي وصفه الله تعالى بقوله، "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا،" النحل 120:

"رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ."
البقرة، 129

كما قال:

(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ، وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ، وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.)
سورة الشعراء الآيات (83-89)

إن من الناس الذين يتمتعون بالمواهب الربانية وصفاء القلوب، هم أعلم بما يصلح ويهدي الأمم. أفكارهم وأفعالهم مميزة وهامة. ويجب أن تَلقى كلماتهم انتباهاً واعتباراً خاصين. فكلمات سيدنا إبراهيم عن الحكمة والتقوى والقلب السليم هي كلمات ذات أهمية حيوية للعيش في حياة كريمة صادقة. فقد كان سيدنا إبراهيم أمة بأكملها ولؤلؤة من العبادات والمثاليات. وإذا ما ركز أي واحد منا على ما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام في تحقيق التقوى والحكمة والقلب السليم، فإن النتيجة الطبيعية ستكون الطمأنينة والسؤدد والنجاح بإذن الله.

ونود أن نظهر صورة الإسلام على أنها ليست التكفير والكراهية والقتل، وليست أشكالاً من الأوامر المفروضة والأحكام التي تقوم على «افعل كذا، ولا تفعل ذاك»! وذلك للوصول إلى عالم من المفاهيم الجميلة للدوافع والنتائج. والانتقال من عالم مذهبي غير منضبط، إلى عالم من الأفعال والوظائف التي ينتج عنها السكينة والوقار في القلوب، ويمنحان السعادة والسرور في النفوس.

من عالم يضع جلّ اهتماماته في مداولات وخلافات تتحدث عن اللحية والكرافة مثلاً أوعن الحجاب وقواعد اللباس إلى عالم من المناقشة لتحقيق الوصول إلى وسائل أفضل في الطمأنينة والتقوى. ومن عالم جعل جل اهتمامه منصباً على المجادلات التي تدور على قضايا مثل كيف وأين يضع المصلي يده وهو واقف في الصلاة إلى عالم مهتم بالإرشاد إلى الطرق والوسائل التي تحقق الخشوع بين يدي الله تعالى والتقوى والإحسان في الصلاة، بحيث أن تعبد الله كما لو أنه أمامك وأنت بين يديه.

المكان الأمثل للإحسان هو في أعماق نفسك وأعماق نفسي، في أعماق نفس أطفالك وفي أعماق نفس أطفالي أيضاً. ولسوف تنبع فاكهة الحكمة والتزكية بشكل طبيعي عندما تبنى عليهما مؤسساتنا التعليمية، وكلياتنا ومعاهدنا وجامعاتنا، وبالتالي تُمنح الدرجات العليا في ميادين الثوابت الثلاثة لدين الإسلام.

هيكل الدراسة الإسلامية يجب أن يُركز على سبل الوصول إلى نجاح وسعادة المسلمين وتحقيقها في جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والروحية للأفراد والمجتمعات والأمم.
ويجب أن يحمل خريجو الجامعات والكليات شهادات إنجاز في المفاهيم والسنن والقلوب السليمة. وفي الطهارة والتقوى. ويجب أن تبقى المقالات التي تناقش مدلولات الأسماء الحسنى لله سبحانه وتعالى وصفات الأنبياء عليهم السلام مواضيع مستمرة بحيث ينبغي على كل طالب في كل مستوى دراسي أن يقوم بدراسة عليها للحصول على علامة النجاح.

وينبغي أن يكون هدف مثقفي الإسلام التيسير في تطوير الهوية الإسلامية للأطفال وفي تغذية وتطوير علم التزكية. ويجب تأسيس ذكر الله في كل مسجد وكل معهد تعليمي شأنه شأن المختبرات العلمية ذات الصلة بالمعرفة العلمية.
يجب أن تتبنى معاهدنا الدينية والأكاديمية والمعاهد التثقيفية الأخرى وورشات العمل ضمن مناهجها تطوير الآتي:

1 ـ سنة التزكية، ذكر الله، وصلاة قيام الليل، والإخلاص، والوصول إلى درجة الإحسان.
2 ـ التأمل والتفكر في دلائل وجود الله سبحانه وتعالى.
3 ـ سنن النظريات الإسلامية الاجتماعية وجعلها قيد الممارسة في ضوء سنة الإتقان.
4 ـ أن ينظر الى أعمال النبي صلى الله عليه وسلم أو أقواله من أجل الحصول على فحواها الروحي مع مظهرها الجسدي.
5 ـ الاهتمام والعناية بإخواننا المسلمين وتجنب كل أشكال الأذى والتأثيرات السيئة لظواهر الحسد، والغيرة، والنزاع والأذى نحو الغير.
6 ـ تحمّل آراء وأفكار المسلمين الآخرين وبيان مدى الأضرار التي تصيب الأفراد والمجتمعات في التصرفات الناجمة عن التعصب.

ويجب أن يتفهم الطلاب دعم المسلم للمسلم في عمله ومركزه ووظيفته. ليدرك الطلاب أن النتائج الكلية تصب في مصلحة المجموعة ككل في نهاية المطاف.

وأعتقد أن الحل الذي يوصل إلى الرضا والنجاح سيصبح في متناول اليد وذلك عندما تكبر أجيال المسلمين على مفهوم صحيح للإسلام بثوابته الثلاثة، علوم الكتاب والحكمة والتزكية.
وتتجلى ظواهر هذا الفهم الصحيح عندما تصبح معاني وتعابير الحكمة والتزكية ظاهرة اعتيادية في حياة الجيل الجديد من المسلمين كما الأركان الخمسة للإسلام وأحكام الحلال والحرام. وعند بلوغ الناشئة سن النضج أو الرشد تصبح عقول المسلمين هذه مترعة بالمفاهيم والنظريات الجديدة وآليات التقدم والمثابرة لتقدم الأمة.

وكم هو اقتراح جميل أن يكون قسم من تلك المقالات والبحوث العلمية لنيل درجات الماجستير والدكتوراه منصباً على مجالات الحكمة والتزكية. وأن تتبنى كافة المعاهد التعليمية القائمة حالياً، بما فيها المدارس الابتدائية والعليا والثانويات والكليات في كل مكان يوجد فيه مسلمون موضوعيون جدد في مناهجها الخاصة بها، يخصص واحد منها لمواضيع الحكمة والآخر لمواضيع التزكية.

أما فيما يتصل بمناهج نصوص الكتاب فإنني أقترح تبنّي الكتب التالية في مناهج التعليم:
1 ـ جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي.
2 ـ منهاج الصالحين لعز الدين بليق.
3 ـ إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي.
4 ـ فقه السيرة للدكتور البوطي.
5 ـ الإيمان والحياة للدكتور القرضاوي.

وإذا ما توفرت كتب أخرى عن التزكية والحكمة، فيمكن تبنيها بنفس الطريقة الموضوعة للمناهج التعليمية في المدارس.

وإني لأتخيل الطلاب والباحثين وهم ينافسون بعضهم بعضاً من أجل استنباط الحل الأمثل لأية مشكلة بعينها والتي يعاني منها المسلمون. فعلى سبيل المثال فإني أتطلع إلى عقد مؤتمر أو مناظرة تتشكل من أساتذة في الجامعة مع طلابهم يتقدمون بحلول، ومن ثم يتم اختيار أفضلها وذلك في مثال دراسة كيفية منع انتشار المجاعات في افريقية وغيرها.
ويجب إغراق المنازل الإسلامية، والمراكز التعليمية والمكتبات بالكتب والمجلات والمنشورات اللازمة التي تتحدث عن سنة الذكر، وسنة طهارة القلب، وسنة التقوى والصلاح والفلاح. كما يجب توفير كتاب منهاج الصالحين لعز الدين بليق في منزل كل مسلم ولكل إنسان مسلم وخاصة من يقوم منهم على شؤون التعليم والتربية. كما أقترح أن يخصص:

1 ـ عشر دقائق على الأقل كل صباح وعشراً أخرى كل مساء مخصصة لذكر الله تعالى. وأفضل الأوقات ما كان بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب.
2 ـ خمس عشرة دقيقة على الأقل يومياً لتلاوة القرآن الكريم، أو لدراسة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسب أوقات هذه التلاوة أو الدراسة عندما يتواجد كافة أفراد الأسرة في المنزل.

وعلى أفراد المسلمين وعائلاتهم الانضمام والاشتراك جدياً في المراكز الإسلامية المحلية وأن يساهموا في البرامج الخاصة بتطوير مجتمعهم وجماعاتهم دينيا ودنيويا. إذ لا يوجد أي سبب مهم بما فيه الكفاية يَمْنع أي إنسان من الانضمام إلى تنظيمات المجتمع.

وعلى الجميع مؤازرة العلماء والمدراء وتشجيع البرامج القائمة حالياً وتوسيع البرامج الروحية منها. وفي التماس عاجل، فإني أحث كافة القائمين على التعليم والتربية من المسلمين والعلماء ـ مع احترامي الشديد لأشخاصهم وعلمهم ـ أن يقوموا بصقل وشحذ الناحيتين الروحية والمعنوية لديهم، ليتاهبوا لبناء رجل الإسلام وأفراد الإسلام الحقيقيين بالبدء بالعمل أولاً على تحسين أنفسهم من أعماقها وداخلها وتنقية وطهارة قلوبهم.
لنقرأ جميعاً فنتفكر بكلمات الله سبحانه وتعالى:
(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.)
سورة الحديد الآية (21).

وفيما يتصل باستمرار رعاية الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتثقيفية الإسلامية فيما بين المسلمين، فإني أقترح تشكيل مجلس إسلامي من مجموعة من الناس الأتقياء، ومن ذوي القلوب السليمة، ومن الحكماء وعلماء المسلمين الأذكياء والفلاسفة من مختلف أصقاع العالم ـ وليكن المجلس الإسلامي الأعلى- على أن تكون مهمة هذا المجلس إدارة ورسم وتخطيط كافة السياسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الإسلامية ذات الصلة بكافة المسلمين في كافة أنحاء العالم.

على أن تدعم السلطات والحكومات لدول المسلمين هذا المجلس والعمل على تنفيذ توصياته. وعلاوة على ذلك فإن من مهام المجلس المراقبة والتأكد من تنفيذ توصياته وأوامره.

حتى يقوم هذا المجلس بمهمته، يدعم بخلايا تفكيرية متخصصة مزودة بالباحثين والاختصاصيين. على أن تزود كل خلية فكرية بالعاملين والخبراء من ذوي الشهادات العليا والكفاءات للكشف والتقييم وتطوير المفاهيم وإسداء النصح والتوصيات ـ ويجب على هذا المجلس التواصل المباشر مع الخلايا التفكيرية، منها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية المختلفة، لتحديث توصياته، كما وينبغي على القطاعات الحكومية إعادة نتائج فحوصاتها والتزاماتها إلى المجلس الإسلامي الأعلى ليتمكن بدوره من تطوير وتعديل مقترحاته ودراساته.

وفي اعتقادي فإن مسلمي الولايات المتحدة الأمريكية يملكون الوسائل، لتطبيق توصيات هذا الكتاب.

فمن خلال التسهيلات التي تتميز بها حرية الصحافة والدين في الولايات المتحدة، ومن خلال الشبكة الإسلامية الفعالة القائمة حالياً، ولسهولة الاتصالات، ونضج فهم الإسلام وصفائه في أعماق قلوب المسلمين في الولايات المتحدة وأيضا كندا، فإنني أعتقد أن مسلمي أمريكا الشمالية سوف يكونون قادرين ـ في الطليعة ـ على تأسيس وتوجيه هذا المجلس. قال الله تعالى:

(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ.) سورة الواقعة الآيتان (10 - 11).

ومن الخطوات العملية لتطبيق فكرة المجلس الإسلامي الأعلى هو تشكيل نموذج مصغر للمجلس. ويمكن إصدار مجلة أسبوعية أو شهرية لنشر المعلومات والإرشاد، ذلك كخطوة أولية على سبيل توحيد اتجاه كافة علماء المسلمين تحت مظلة مؤسسة واحدة. ويبدأ هذا المجلس عمله في الشؤون والقضايا التي تمس المسلمين في كل من الولايات المتحدة وكندا. ومن ثم يتوسع المجلس ليسدي نصائحه للهيئات الإسلامية العالمية الأخرى ثم يتوسع تدريجياً بإيجاد فروع له حول العالم لتسدي النصح لكافة المسلمين في مواطنهم.

ويمكن بدء تبني توصيات المنهج الإسلامي الحيوي على مستوى الأفراد وفي أي جالية اسلامية أو مجتمع إسلامي. بحيث أن كل نظام مدرسي والبرامج التعليمية أن تأخذ على عاتقها تطبيق المنهاج المنوه له في الفصل الرابع: نموذج للمنهاج الإسلامي المطروح في هذا الكتاب والذي صمم حول الثوابت الثلاثة في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم: الكتاب والحكمة والتزكية.
وسينظر إلى هذا المنهاج على أنه أساس جديد لأطفالنا في بناء الإسلام الحيوي الحياتي.

المتوقع للمنهاج وللمواد المنتخبة له أن تبنى الطلاب انطلاقا من الداخل. تنطلق من نفوسهم ولتتمثل بالجوارح، بدلاً من إكراههم على القيام بالواجبات قسراً. إذ أن الواجبات تبدو وكأنها جافة وصعبة الفهم والتطبيق. المخطط التالي صورة مبسطة لهذا المنهاج.

الحمد لله والشكر لله، فمنذ أن تم إصدار الطبعة الأولى لهذا الكتاب في شهر ديسمبر 1995، فقد تم تشكيل مركزين لخلايا تفكيرية للبحوث وتقصي وتوجيه المسلمين.
أحد هذين المركزين هو مركز بحوث السياسة العامة والذي أوجده الدكتور روبرت د. كرين، والذي كان يشغل منصب المستشار الديني الشخصي للرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون ومنذ أن اعتنق الإسلام، فقد أبقى الدكتور كرين على منصبه في النصح للقيادة الأمريكية (السياسية) إلا أن هذه المرة من وجهة نظرة إسلامية وفي أحدث كتاب له واسمه (تشكيل المستقبل الكوني _نموذج القوى والتعددية والعدالة) وهو إطار للسياسة الأمريكية الخارجية منها والمحلية، على أساس مقاصد الشريعة أو الأهداف العليا للشريعة الإسلامية.

إن الهدف الأساسي لغرضنا هو توفير تصنيف المنهاج الأساسي للتعليم الإسلامي لمساعدة السياسة العامة في أمريكا من تدبير القوى إلى نشدان الحرية على أساس العدالة. وتتركز نشاطات الدكتور كرين الأخيرة حول الحركة السياسية لكل من الحزبين الديمقراطي والجمهوري لتضييق النطاق على ظاهرة الهجرة كطريقة للتخفيف من النمو السريع للإسلام في الغرب. وتعد هذه الكتابات رداً على:
«آ» ـ تصريح من قبل الناطق باسم البيت الأبيض، في مؤتمر لضباط الاستخبارات والجيش حول تطوير الاستراتيجية الكونية والتي تقول: ومع ذلك فإنني أود أن أرى استراتيجية متماسكة لمكافحة والقضاء على الديكتاتورية الاستبدادية الإسلامية.

«ب»: ومقالة صموئيل بي التي نشرت في مجلة الشؤون الخارجية، نوفمبر 1996، بعنوان الغرب وبقية العالم والذي يقول فيها بأن بقية العالم قد أثقل كاهله بثقافات ضيقة الأفق والأديان ولذا فعلى الغرب أن يغلق فجوات لكي يواجه هذا الخطر الخارجي.

وهناك أيضا خلية تفكيرية أخرى أسسها أحمد يوسف منذ أربع سنوات تحت اسم المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث وهي الناشر لمجلة شؤون الشرق الأوسط.
ويحتاج المسلمون إلى العديد من هذه المراكز التفكيرية الخاصة للتأثير على صنَّاع السياسة في واشنطن والعالم بأسره. ونحمد الله سبحانه وتعالى لوجود المجلس العمومي للأعمال الإسلامية في واشنطن، دي سي، ليمثل القضايا الإسلامية.

وإنني أبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يَفتح أبصار المسلمين للأخذ بالحل المقترح بجدية والقيام بتطبيقه أولاً على أنفسهم ومن ثم على محيطهم. وأخيراً أبتهل لله سبحانه وتعالى وبكل تواضع، أن يجعلنا والمسلمين اجمع نتفهم الإسلام الحقيقي الذي أنزله الله تعالى على نبيه، أفضل معلم عرفه الجنس البشري. اللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث

طرح فكرة الحل في هذا الكتاب في المؤتمر العالمي الأول للوحدة الإسلامية في عام 1996

قال الله تعالى:
(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.) سورة الأحزاب الآية (21)

مبادرة لتأسيس برنامج منهجي للتعليم والثقافة الإسلامية اعتماداً على علوم الكتاب والحكمة والتزكية.
التعديل للمناهج التربوية المطروح هنا هو موجه لعموم المسلمين في العالم
قدمت المبادرة التالية لتعديل المناهج في التربية والتعليم في المؤتمر العالمي للوحدة الإسلامية الذي انعقد في فندق ويستيرن بونافنتشر في لوس أنجلوس بكاليفورنيا، في الولايات المتحدة الأمريكية في الأيام الثاني والثالث والرابع من شهر أغسطس (آب) 1996.

المخطط النموذجي للمنهج الإسلامي

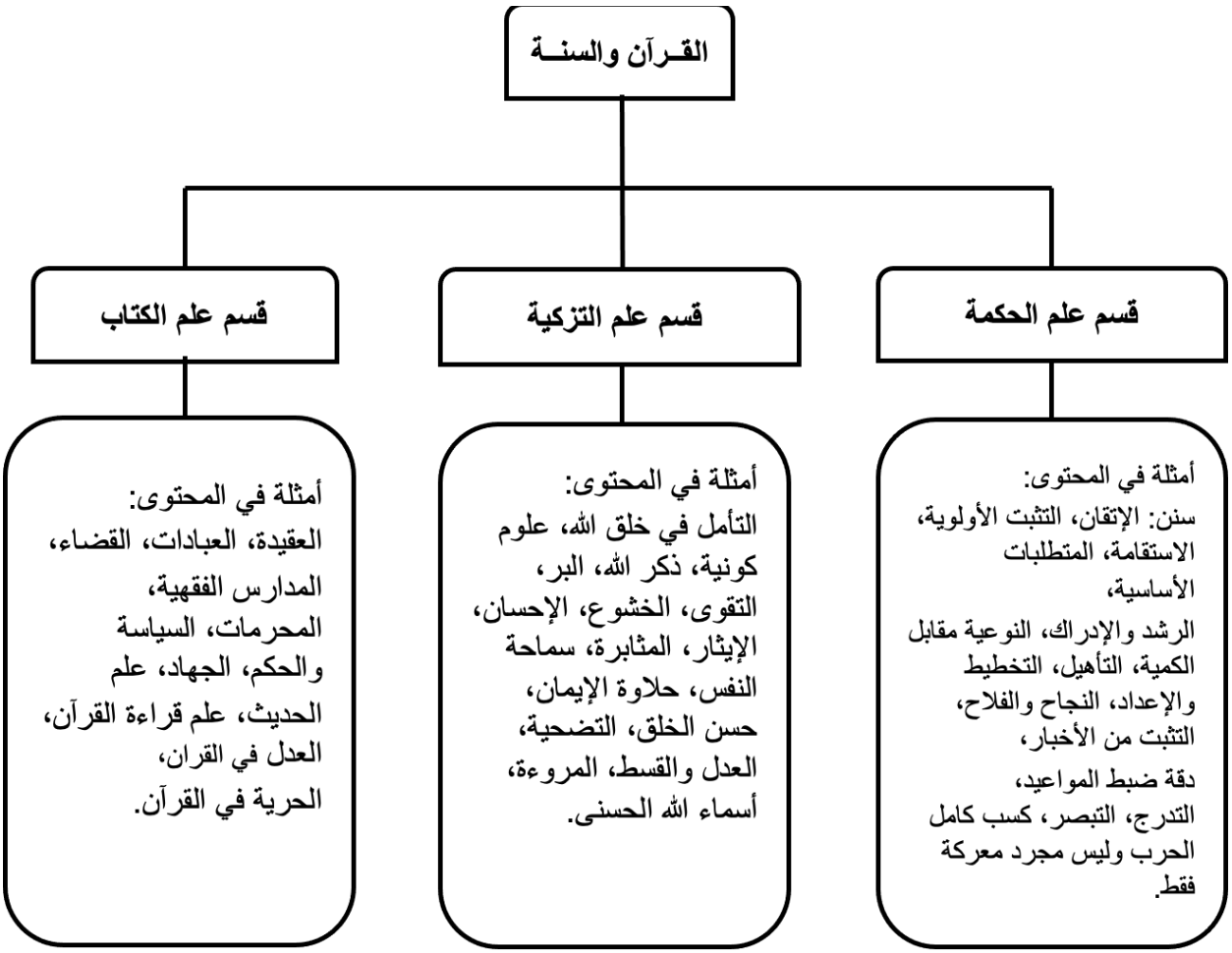

وعليه فإنني أنصح بتقسيم المناهج المدرسية وكتبها المخصصة للطلاب من سن العاشرة إلى سن العشرين إلى أقسام علوم الكتاب والحكمة والتزكية. كما أنني أوصي كحد أدنى بتقسيم المواضيع المدرجة أعلاه في كل جزء.

المقصد والإطار في نقاط:

- إن هذه دعوة إصلاحية في التعليم تهدف لإجراء برنامج تعليمي مصمم من الثوابت الأساسية للإسلام وهي علوم الكتاب والحكمة والتزكية. ويعتبر هذا الطرح نموذجا وولادة جديدة لمنهاج في التربية والتعليم لإحياء نهضة روحية وفكرية في العالم الإسلامي كافة. التصميم المبدئي لهذا المنهاج الجديد هو من أجل تخريج جيل جديد من المسلمين لِيُكوّن مجتمعاً إسلامياً يؤمن بالله ونبيه ويفكر على نحو صحيح، ويتصرف على نحو صحيح ويكون أداؤه صحيحاً.

- ان اقتباس الاتجاه القرآني القائم على منهجية تغيير النفس البشرية، والذي مارسه النبي صلى الله عليه وسلم، لربما سيكون التغيير اتجاهاً حتمياً لمقابلة التدهور للأمة الإسلامية في كافة أنحاء العالم. مراجعة بسيطة للتاريخ الإسلامي تفيد القارئ انه بدون قلب طاهر مزكى ومعرفة واسعة وعميقة وحكمة في العمل، فإنه لن تكون المحاولات لإنقاذ الامة على المستويات الدينية والسياسية والاجتماعية فعالة.

- وقد يوجد في هذا الكتاب الذي بين أيديكم مناقشة أوسع حول تطبيق الثوابت الثلاثة لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم وستؤتي ثمار الحكمة والتزكية أكلها عندما تقوم مؤسساتنا التعليمية والكليات والجامعات بتبني هذا المنهاج ومنح شهادات عُليا على مستوى الانضباط والنظام وعلى أساس الإدراك للمعرفة في الكتاب والتزكية والحكمة.

لمحة تاريخية:

منذ نهاية الخلافة الإسلامية وحتى اليوم والعالم الإسلامي برمته في حالة انحدار وتدهور، إلا في مواضع محدودة. ونتيجة للحالة الاسلامية المتردية في التفكك والانحلال فقد تم تطوير العديد من فروع العلوم الإسلامية والتي عالجت العديد من القضايا، ولكن غالبية هذه الجهود تركزت على النواحي الآلية والميكانيكية أكثر مما ركزت على النواحي الروحية والعرفانية والفكرية في الإسلام. المنهاج التربوي المقترح هنا هو خطوة أولية لإحياء الإسلام الروحي والفكري عند المسلمين.

للإيضاح، نذكر على سبيل المثال تركيز العلوم الفقهية على تفاصيل الشريعة والأحكام الإسلامية، وتركيز علم الحديث ومصطلحه على تصنيف الحديث، وتم إعداد قواعد اللغة العربية وعلم كتابة وقراءة القرآن الكريم لتسهيل القراءة والكتابة. ولكن لم تتعد هذه الفروع تعليم وتسهيل أو تحسين النواحي الروحية والفكرية والتي تعتبر من روح وصلب الإسلام. والمسلمون أنفسهم في أمس الحاجة لهذه العلوم في الماضي والحاضر والمستقبل. وبنفس الوقت فإن المدارس الصوفية والعرفان الروحيتين لم تتطور كالمدارس الفقهية - رغم نجاحاتها في القارتين الاسيوية والافريقية - بل وإنها حوربت بشراسة باسم الشرك والبدعة.

من السنن المثالية المطوية التقوى وطرق تحصيلها وتنميتها، وفضائل البر وطرق إنجازها، والأولوية ودقة ضبط المواعيد، وسنن الأخلاق. ومن المثاليات أيضا ذكر الله والخشوع في الصلاة والسبل لنيلهما. إبراز ضرورة الإخلاص لله سبحانه وتعالى والتقرب منه. تعد هذه الخصال من القيم المثلى للإيمان، إن وجد بعضها او جلها في مدارس التصوف والعرفان، ليس لها مكان يذكر في المدارس الفقهية.

إن الانعزال عن النواحي الروحية والفكرية للإسلام والتركيز على الآليات قد نجم عنه وجود أجيال من المسلمين اتجهوا نحو المظاهر الشكلية والميكانيكية والوظيفية للإسلام. وكنتيجة لهذا المنشأ وحيث إن الواجبات

في الإسلام قد تم تطبيقها على نحو وراثي وبطرق مختلفة، فقد ظهرت إلى الوجود اتجاهات فكرية ضحلة وغير مرنة، وقد أحدث ذلك ضعفاً وانقساماً وأحياناً أدت إلى نشوب الحروب. وقد انعكس التفكير الميكانيكي الآلي للمسلمين فيما بعد وبشكل واضح وعلى مر الأجيال في آلاف الكتب التي أُلفت حول تفاصيل الفقه والآليات الميكانيكية الأخرى للإسلام. فعند التمعن في بعض هذه الكتب حول أحكام القرآن الكريم فإن المرء يرى وبوضوح تأثير هذا الاتجاه الشكلي والفيزيائي.

وعلى سبيل المثال يعتبر بعض الكُتاب الآيات التي تحرّم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ولحم الميتة آيات ذات صلة عليا تتحدث عن أحكام القرآن «آيات الأحكام» وهذا لاغبار عليه، ولكن ينسون الآيات ذات الطبيعة الروحية والعقلية والتي تتعلق مباشرة بتكوين نسيج الإيمان لدى المسلمين، ولكن لا يقام لها اعتبار كي تكون ضمن الآيات التي تحدد أحكام وقواعد القرآن الكريم.

يقول سماحة الدكتور أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربية السورية السابق رحمه الله تعالى: «كل القرآن أحكام.» ويقول: "علاوة على ذلك فإن المشكلة لم تتوقف عند الكتب، ولكنها تنعكس في مناهج المدارس الشرعية «المعاهد الدينية الإسلامية»." لا يوجد منهاج لتدريس الجوهر الروحي في الإسلام، هذا ولا يتم تدريس مواضيع مثل حسن الخلق وذكر الله والخشوع والإخلاص لله والتقرب لله والتقوى في المدارس الإسلامية لا في الماضي ولا الحاضر. فكيف لهذه المواضيع التي تشكل الجهاز العصبي لدين الإسلام أن لا تؤخذ في عين الاعتبار في مناهج المدارس الإسلامية؟

وأما الأعراض الجانبية الأخرى المتصلة بالجانب الفيزيائي أو الحركي للمسلمين تصاعدت حتى كفرت الكثير من المسلمين في قضايا غير عقدية وأحلت دماءهم. أدخلت من تريد الجنة ومن لا تريد النار!

لقد كان دور محمد صلى الله عليه وسلم ليس التشهير بالناس من ذوي البغضاء أو المواقف السيئة من الكفار والمنافقين، ولكن بالقيام بإصلاحهم وهدايتهم ومعالجة وشفاء أمراض الناس بقلب يغمره الحب والعطف والعناية.

إن علينا أن نبني جيلاً من المسلمين ممن يأخذون على عاتقهم ويمتلكون دور النبي صلى الله عليه وسلم كطبيب وداعية وهادٍ إلى سواء السبيل «مرشد ومعلم» وممن يتعاملون مع الناس ويهدونهم إلى الله تعالى بقلب وعقل مفعمين بالحب والرعاية.

"خاطبوا الناس على قدر عقولهم"

قال رسول الله صلوات الله عليه: أُمِرْنا أن نُكلِّمَ الناسَ على قدْر عقولِهم. رواه الديلمي. وبشكل اقوى حتى لا يُكَذَبَ اللهُ ورسوله. ففيما جاء في البخاري عن علي موقوفا "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذّب الله ورسوله؟"

لطالما نادى سماحة الراحل الشيخ أحمد كفتارو ومرارا بالضرورة لفهم الإسلام الحي والحيوي وذلك من خلال تفسير جديد للمعاني القرآنية والتي تتحدث للناس بلغة العصر وعاداته ليستوعبها الناس من صغيرهم الى كبيرهم، ومن عالمهم إلى جاهلهم.

القرآن صالح لكل زمان ومكان وعليه فخطابه صالح لطبيعة البشر وعاداتها. والنبي صلوات الله عليه خاطب قومه وفقا لعاداتهم وتقاليدهم، وعليه فانتحاء سنته اليوم تقتضي أن نتعامل مع الجيل الحديث بلغة عصره أو على قدر عقولهم. هذه السنن الربانية توجب علينا أن نخرج بمناهج توازي او حتى تضاهي تقنية هذا العصر ولغته.

ولهذا فإنه من الواجب علينا تقديم الإسلام إلى الجيل الجديد من المسلمين بلغة عصرية يفهمونها ويكون بإمكانهم وبحماس وضعها موضع التنفيذ.

بالإضافة الى ذلك، ومن منطق اخر، الله تعالى يقول:
"هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ." 138 آل عمران

يُعَرِف الدكتور عبد الواحد وجيه، علم البيان بقوله: "التفسير والبيان جاءا من علم البلاغة."

ثم يتابع الدكتور عبد الواحد القول، كما ذكرنا في مطلع هذا الفصل، أن علم البلاغة هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال .ثم يوضح الدكتور وجيه قائلا،
"أي أن يطابق كلامك مقتضى حال السامع. فإن لم يفهم السامع فالمشكلة عندك وليست عنده."

فهل لنا أي عذر في أن لا نقدم لكل الناشئة الاسلامية منهجا تعليمياً جذرياً يطابق مقتضى العصر ومقتضى تعليم النبي صلوات الله عليه أصحابه (يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم)؟

إيضاحات مثالية لضرورية المنهج الجديد:
آ ـ النواحي والعناصر الروحية:
ايضاح رقم (1):
قال الله تعالى:
(فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ.) سورة فاطر الآية (5)

هناك حكم إسلامي في هذه الآية الكريمة يتحدث عن خداع هذه الحياة الدنيا والتي قد انغمس فيها الغالبية العظمى من المسلمين. فهل يمكن لهذا العدد الضخم من مغفلي المسلمين أن يتناقص فيما لو أن هذه الآية الكريمة والعديد من مثيلاتها، كانت موضوعاً متبعاً من منهاج التربية للناشئين المسلمين؟

ايضاح رقم (2):
قال الله تعالى:
(وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنْ الْغَافِلِينَ.) سورة الأعراف الآية (205)
كم هو مثمر لقلوب التلاميذ أن يشرح مدرس لطلابه طرق ذكر الله سبحانه وتعالى ومعرفته؟ فَلِمَ لا تُدَرّس هذه الآية الكريمة كمادة ضمن منهاج التدريس الإسلامي وأن يقام لها برنامج لتطبيقها العملي؟

ايضاح رقم (3):
قال الله تعالى:
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا.) سورة الأحزاب جزء من الآية (41)

كم مرة في اليوم يقوم فيها الفرد المسلم، أو الجماعة من المسلمين، أو مركز إعلامي أو مسجد معين بذكر الله سبحانه وتعالى؟ أم أننا نشعر بالخجل لممارسة ما أمرنا الله به.

وعلينا أن نواجه الحقيقة بأننا نعاني من ظاهرة جنون الشك والارتياب نحو ذكر الله سبحانه وتعالى. لماذا نصاب برهاب الارتياب والشك حول موضوع هو من صلب الإسلام والذي وصف الله سبحانه وتعالى به المؤمنين بأنهم هم الذين يذكرون الله دوما بقوله:
(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ.) سورة آل عمران جزء من الآية (191).

تقول هذه الآية الكريمة، في الواقع، إن المؤمن الذي يداوم على ذكر الله، هو امرؤ يجد الابتعاد عن ذكر الله صعباً ولا يستهان به. فلم لا تكون هذه المواظبة واقعاً حقيقياً بالنسبة لمسلمي اليوم؟ أمامنا الآن نموذج في التعليم يمكنه أن يجعل ذكر الله والتقرب منه واقعاً حقيقياً.

ب - النواحي الفكرية «العقلية»

هناك العديد من الآيات الفكرية القرآنية للشريعة الإسلامية والتي تعد جوهرية لصحة وسعادة كافة المسلمين. دعونا نتمعن بعضاً من هذه الآيات الكريمة:

ايضاح رقم (1):

قال الله تعالى:
(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.) سورة البقرة جزء من الآية (201)

تتطرق هذه الآية الكريمة إلى أنه مطلوب في الإسلام الترقي والتحضر في كل أمور الحياة. فالحصول على أعمال جيدة ومنزل صالح ووظيفة محترمة، ومركز اجتماعي مرموق هو من صفات التدين.
وتعني هذه الآية الكريمة بأنه أيضاً مطلوب في الإسلام إيجاد نظم سياسية وتقنية وطبية وتعليمية وصناعية وزراعية جيدة، جديدة أو متجددة للترقي في الحياة. فلماذا لا نختار القيام بتعليم وتشجيع هذا النمط من العلم كأسلوب في الحياة لصالح المجتمع في نظام التعليم ونظم الدولة؟

ايضاح رقم (2):

قال الله تعالى:
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ." الحجرات (13)

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسن." سورة النحل جزء من الآية (125)

القاعدة الإنسانية التي تطرقها هذه الآية الكريمة هي أحكام في إقامة علاقة جيدة مع الآخرين وهذا يعني:

1 ـ الاتصال عبر الحب، وليس الهجران بالكراهية والبغض.
2 ـ إقامة علاقات جيدة مع الآخرين، وعدم تحطيم العلاقات القائمة حالياً.
3 ـ العمل على وصل الروابط وعدم قطعها أو التسبب في الانفصال والعزلة بآلية التكفير والانعزال.
4 ـ العمل على تشجيع الحياة الجماعية وعدم تطبيق وتكريس الفرقة أو الكراهية.
5 - التعارف يقتضي التعاون في كل شؤون الحياة. في الثروات والاقتصاد والتكنولوجيا والتصنيع والتعليم وإلى ما هنالك من آفاق أخرى في التعاون.

ايضاح رقم (3):

قال الله تعالى:
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا.) سورة الحجرات جزء من الآية (6)

كم من الثغرات توجد في بنية المجتمعات الإسلامية والتي تعزى بشكل كامل إلى تجاهل هذا الحكم الشرعي الذهبي للإسلام؟ اليس حرياً بهذا الموضوع أن يحتل الصدارة في منهاج التعليم الإسلامي لأبنائنا وبناتنا لبناء مجتمع خال من الكراهية والفسق والفجور؟

ايضاح رقم (4):
قال الله تعالى:
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.) سورة الحجرات جزء من الآية (12)

ِلمَ وجدت تلك الآيات الكريمة، والتي تتطرق إلى قضايا تعد العصب الحيوي في جهاز الحياة؟ ولم لا تؤخذ بقوة آيات أحكام القرآن الكريم هذه؟

الفصل الرابع

نموذج للمنهاج الإسلامي المطروح في هذا الكتاب

أولاً-الكتاب:

الكتاب ـ القرآن الكريم ـ على أن القرآن الذي يحتوي الهدى لكل أحوال الحياة، بشكل مباشر أو غير مباشر إلا أنه لغرض هذا التصنيف ينصح بالأخذ بالمواضيع التالية كحد أدنى:

(العقيدة والتوحيد ـ الفرائض، النفل (الصلوات غير المفروضة)، الشريعة والأحكام ـ القيادة والحكم في الإسلام، الحلال والحرام، تلاوة القرآن ودراسة الحديث الشريف مع حفظ جزء منهما، تفسير وفهم القرآن والحديث، دراسة علم مصطلح الحديث، اللغة العربية وقواعدها، الجهاد: معانيه المختلفة.)

ثانياً ـ التزكية:

ضمن قسم تعليم التزكية، يوجد عدد وافر من المواضيع، لذا يوصى بالتصنيفات التالية كحد أدنى.

ا ـ إعداد الطالب لأن يحب الله سبحانه وتعالى ويتذكره (الذكر):

1 ـ الله. من هو الله سبحانه وتعالى.

2 ـ أسماء الله الحسنى.

3 ـ أن تحب من أجل الله تعالى، وتكره من أجل الله تعالى.

4 ـ إقامة الصلاة والذكر على مستوى درجة الإحسان (أن تصلي لله كأنك تراه) فإنك إن لم تره فهو بالتأكيد يراك.

5 ـ الإخلاص لله ولرسوله ولأمة المسلمين.

6 ـ الشخصية الأخلاقية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وطرق تنمية محبته، ومحبة علماء المسلمين.

7 ـ أسوة النبي صلى الله عليه وسلم في حبه إطاعته لله تعالى.

8 ـ أسوة ونموذج أصحاب النبي وعلماء المسلمين في تطبيق التقوى وخشية الله.

9 ـ حلاوة الإيمان في الصلاة.

ب ـ بناء القيم الأخلاقية لدى الطالب:
ـ الثقة أساس العلاقات الناجحة.
ـ المروءة وتعريفها.
ـ اعتبار القيم الأخلاقية والابتعاد عن الأمور الكاذبة والمزيفة.
ـ ممارسة العدالة والكياسة.
ـ التفاؤل وحسن الظن بالله.
ـ الحياء ـ الموقف الحكيم ـ الرزانة ـ السكينة والهدوء ـ الوقار ـ الحلم.
ـ الصدق والأمانة والإخلاص في العمل.
ـ أداء الصلوات على مستوى الإحسان.
ـ تفضيل الآخرين على النفس (الإيثار).
ـ كظم الغيظ ـ احترام المعرفة الإسلامية والعلم والعلماء.
ـ صلة الرحم.
ـ حب واحترام الوالدين، وإقامة علاقات طيبة مع كافة أفراد العائلة،
ـ الشعور بالمودة الطيبة تجاه الأقارب والجيران.
ـ الأخوّة في الإسلام ـ الكرم ـ إكرام (قِرى) الضيف.
ـ العفة.

د ـ الحذر والحيطة:
ـ عدم إصدار الحكم قبل السماع والتحقق من كلا جانبي المسألة المتنازع عليها وبشكل متساوٍ.
ـ اجتناب الظن بإخوانك المسلمين وبأي إنسان.
ـ اجتناب الغيرة والحقد واللتين ليستا من صفات المسلم الحق.
ـ اجتناب الافتراء والغيبة والنميمة وإثارة الفتن والمشاكل وهي كلها ليست من الأخلاق الإسلامية.
ـ عدم المجادلة والخصام.
ـ عدم الكذب ويعد إثماً ولو كان مزاحاً.
ـ عدم البهتان وهو تلفيق ونشر أخبار السوء وإلصاقها بالأبرياء.
ـ عدم الإفك وهو القذف وتلفيق أخبار التهمة.
ـ عدم التدخل في شؤون الآخرين وهي صفة غير إسلامية.
ـ عدم الوقوع في الشبهات.

ثالثاً ـ <u>الحكمة:</u>
يركز هذا القسم على دراسة وتحليل الهداية القرآنية والنبوية في الحكمة. والتوصيات التالية أدنى ما نوصي به:

آ ـ الحكمة في آيات القرآن:
الحكمة من قصص القرآن الكريم:
الحكمة /العبرة في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام.
الحكمة /العبرة في قصة سيدنا نوح عليه السلام.

الحكمة /العبرة في قصة سيدنا موسى عليه السلام.
الحكمة /العبرة في قصة سيدنا عيسى عليه السلام.
الحكمة /العبرة في قصة سيدنا أيوب عليه السلام.
الحكمة /العبرة في قصة سيدنا سليمان عليه السلام.
الحكمة /العبرة في قصة سيدنا داود عليه السلام.
الحكمة /العبرة في قصة سيدنا صالح عليه السلام.
الحكمة /العبرة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام.
الحكمة /العبرة في قصة أهل الكهف عليه السلام.

ب ـ مواضيع الأمر بالمعروف والدعوة إليه، والنهي عن المنكر.
ت ـ الحكمة في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم:
ـ الحكمة من قصة نزول الوحي.
ـ إسلام خديجة، اسلام حمزة، إسلام عمر بن الخطاب. اسلام أعلام الصحابة.
ـ الدروس والحكمة والعبرة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.
ـ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.
ـ الحكمة من معركة بدر وأحد والخندق.
ـ الجهاد في سبيل الله: متى، ولماذا تم العمل به، بعثة عبد الله بن جحش.
ـ الحكمة من المعاملة اللطيفة والكريمة من النبي صلى الله عليه وسلم نحو أبي سفيان والمسلمين الطلقاء.
ـ الحكمة من الزيجات المتعددة للنبي صلى الله عليه وسلم.
ـ سير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، النماذج المختلفة لمجاهداتهم وجهادهم في سبيل الله.
ـ حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في عرضه منصباً ريادياً على خالد بن الوليد في سبيل دخوله الإسلام.

ث ـ العمل على مستوى سنة الإتقان.
من أجل الوصول إلى التعريف المناسب وأمثلة العمل الذي تم إنجازه على مستوى سنة الإتقان، وانظر فصل سنة الإتقان.
وسوف يشترك الطلاب بالنشاطات المختلفة وإعداد تقارير الكتب الجماعية والمسرحيات التي تم تصميمها لتعليم الطلاب طرق تحقيق النجاح، ولتحسين أداء العمل والوظائف والواجبات المنوطة به.

ج ـ إنجازات النبي محمد في توحيد الامة ثم العالم.
ح ـ عناصر البناء الأساسية للوحدة الإسلامية.
خ ـ دراسة مفصلة عن الخطوات التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم لتوحيد القبائل العربية.
د ـ دراسة المعاهدات والمواثيق التي أبرمت بين النبي صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب.
ذ ـ عناصر بناء المسلم الحكيم:
ـ سنة التأهيل لإنجاز المهمات.
ـ سنة تعيين الفرد لوظيفة او مهمة.
ـ سنة الإعداد والتخطيط.
ـ سنة الأمان.

سنة منع الحروب وسفك الدماء.
ـ سنة التدرج.
ـ سنة منع الفشل.
ـ سنة التقدم والبناء.
ـ سنة الاستمرار والاستقرار.

ر ـ تاريخ الإسلام.

الهدف من هذا القسم تحليل أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم
وتطبيقاتهما الملائمة في حياة كل مسلم.
الإسلام موضوع ينبغي سبر أعماقه أيضاً لنتبين نقاط ضعفنا وأمراضنا وتدهورنا والحاجة الماسة للتحرك نحو الأمام لتحقيق الرفاهية والازدهار وممارسة الإيمان الحق والإسلام.

العودة إلى القرآن الكريم سوف تُطهّر القلوب من كل إثم يحيط بنا في هذا العالم الذي يغمره المذهبية التي ما هي إلا من صنع البشر.

[1]) يقصد الكاتب (هنا) الولايات المتحدة الأمريكية.
(٢) عمل المرحوم د. كرين كمستشار ديني للرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نكسون ومستشاراً رئيسيّاً لسياسته الخارجية خلال حقبة الستينات، وأصبح فيما بعد نائباً لمديره المعيَّن لشؤون التخطيط في مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض.
(3) وهو اسم هذا الكتاب باللغة الانجليزية.

المراجع:

كرم البستاني: المنجد، دار المشرق، منشورات بيروت ـ لبنان 1975م ـ 395 هـ
ـ محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة، دار الفكر، دمشق ـ سورية 1990م ـ 1410هـ
ـ عبد الغني الدقر: أعلام المسلمين، دار القلم، دمشق ـ سورية 1978م ـ 1407هـ
ـ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، الطبعة الأولى 488هـ القاهرة ـ مصر
ـ علي بن برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية، دار الاستقامة، القاهر ـ مصر 1962م ـ 1382هـ
ـ محمد تقي الدين الهلالي: تفسير معاني القرآن الكريم في اللغة الإنجليزية، مكتبة دار السلام، الرياض ـ المملكة العربية السعودية 1994م ـ 1415هـ
ـ عبد الله علي يوسف علي: القرآن الكريم الترجمة والتفسير، دار المنشورات الأمريكية ـ الولايات المتحدة وكندا 1977م ـ 1397هـ
ـ ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، دمشق ـ سورية 1990م ـ 1410هـ
ـ الكندهلوي محمد يوسف: حياة الصحابة، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان
ـ يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة، مؤسسات الرسالة، بيروت ـ لبنان 1991م ـ 1411هـ
ـ مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي 1956م ـ 1375هـ
ـ زكي الدين عبد العظيم المنظري: الترغيب والترهيب 1968م ـ 1311هـ آ. آتش
ـ الستار أبو طلحة محمد يونس: أين الخاشعون في الصلاة، المدينة المنورة ـ العربية السعودية.
ـ جلال الدين السيوطي: الجامع الصغير، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ مصر 1954م ـ 1373هـ
ـ وهبة الزحيلي: التفسير المنير، دار الفكر، دمشق ـ سورية 1991م ـ 1410هـ
ـ وليام بيكر: سرقة أمة، دار نشر (فندر) ص.ب 11134 لاس فيغاس NV 1984م.
ـ عز الدين بليق: منهج الصالحين، دار الفكر، بيروت ـ لبنان 1987م ـ 1407هـ
ـ روبرت كرين: تشكيل مستقبل الكون، عقائد القوة التعددية والعدالة، المؤسسة المتحدة للبحوث والدراسات، سبرينغ فيلد، فيرجينيا 1997م.
ـ بول فيشر، الخطة، شركة بول فيشر، بولر سيتي ـ نيفادا 1988م.
ـ ماهر حتحوت، الخطة، شركة بول فيشر، مجلة المنارة، لوس أنجلوس، كاليفورنيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية /عدد/ أكتوبر نوفمبر 1996م.

ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان 1989م ـ 1408هـ
ـ ابن رجب: جامع العلوم والحكم، مؤسسات الرسالة، بيروت ـ لبنان 1991م ـ 1412هـ
ـ عمر فروخ ـ مصطفى خالدي: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان 1972.
ـ محمد رواس قلعة جي: معجم لغة الفقهاء، دار النفس، بيروت ـ لبنان 1985م ـ 1405هـ
ـ عبد الله عباس الندوي: مفردات القرآن الكريم، اقرأ، مؤسسة التعليم الدولية، شيكاغو، 60625LC، 1986م ـ 1406هـ
ـ بي ـ إتش نيوباي، صلاح الدين في عصره، لندن المملكة المتحدة، فابر 1983م.
ـ منصور علي ناصيف: التاج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ مصر 1961م ـ 1381هـ
ـ أحمد صالح صقر، المسلمون وغير المسلمين وجهاً لوجه، مؤسسة المعرفة الإسلامية لومبارد ICI 1991م.
ـ أحمد صالح صقر: الكتاب الذهبي للقوائم الإسلامية، مؤسسة المعرفة الإسلامية لومبارد IL 1992.
ـ محمد سليمان: مجمع الفوائد والعذاب الموارد. دار التآلف، المدينة المنورة ـ العربية السعودية 1961م ـ 1381هـ
ـ رمضان ديب، غادة طاهر: الفقه الشيق، دار المحبة، دمشق ـ سورية 1994م ـ 1415هـ.

مواضيع اخرى للكاتب:

- هضم الحقوق الأمنية للإنسان ظلم وفساد
- الإبداع جزء لا يتجزأ من حياة المسلم
- السياسة الخارجية للإسلام سلم أم حرب